أسماء الله الحسنى

بركتها وأثر فهمها في حياتنا

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ظَهَرَ لِأَوْلِيَائِهِ بِنُعُوتِ جَلَالِهِ، وَأَنَارَ قُلُوبَهُمْ بِمُشَاهَدَةِ صِفَاتِ كَمَالِهِ، وَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ بِمَا أَسْدَاهُ إِلَيْهِمْ مِنْ إِنْعَامِهِ وَإِفْضَالِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْعَزِيزُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، بَلْ هُوَ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَفَوْقَ مَا يَصِفُهُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي إِكْثَارِهِ وَإِقْلَالِهِ، لَا يُحْصِي أَحَدٌ ثَنَاءً عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ كَمَا أَثْنَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ عَلَىٰ لِسَانِ مَنْ أَكْرَمَهُمْ بِإِرْسَالِهِ.

الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، وَالظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَالْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، وَلَا يَحْجُبُ الْمَخْلُوقَ عَنْهُ تَسَتُّرُهُ بِسِرْبَالِهِ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الْعَزِيزُ الصَّمَدُ، الْمُتَفَرِّدُ بِالْبَقَاءِ، وَكُلُّ مَخْلُوقٍ مُنْتَهٍ إِلَىٰ زَوَالِهِ.

السَّمِيعُ الَّذِي يَسْمَعُ ضَجِيجَ الْأَصْوَاتِ بِاخْتِلَافِ اللُّغَاتِ عَلَىٰ تَفَنُّنِ الْحَاجَاتِ، فَلَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، وَلَا تُغْلِطُهُ الْمَسَائِلُ، وَلَا يَتَبَرَّمُ مِنْ إِلْحَاحِ الْمُلِحِّينَ فِي سُؤَالِهِ، الْبَصِيرُ الَّذِي يَرَىٰ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَىٰ الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ حَيْثُ كَانَتْ مِنْ سَهْلِهِ أَوْ جِبَالِهِ، وَأَلْطَفُ مِنْ ذَلِكَ رُؤْيَتُهُ لِتَقَلُّبِ قَلْبِ عَبْدِهِ، وَمُشَاهَدَتُهُ لِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ، فَإِنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ تَلَقَّاهُ، وَإِنَّمَا إِقْبَالُ الْعَبْدِ عَلَيْهِ مِنْ إِقْبَالِهِ، وَإِنْ أَعْرَضَ عَنْهُ لَمْ يَكِلْهُ إِلَىٰ عَدُوِّهِ، وَلَمْ يَدَعْهُ فِي

إِهْمَالِهِ، بَلْ يَكُونُ أَرْحَمَ بِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، الرَّفِيقَةِ بِهِ فِي حَمْلِهِ وَرَضَاعِهِ وَفِصَالِهِ، فَإِنْ تَابَ فَهُوَ أَفْرَحُ بِتَوْبَتِهِ مِنَ الْفَاقِدِ لِرَاحِلَتِهِ الَّتِي عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فِي الْأَرْضِ الدَّوِّيَّةِ الْمُهْلِكَةِ إِذَا وَجَدَهَا وَقَدْ تَهَيَّأَ لِمَوْتِهِ وَانْقِطَاعِ أَوْصَالِهِ.

وَإِنْ أَصَرَّ عَلَىٰ الْإِعْرَاضِ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِأَسْبَابِ الرَّحْمَةِ، بَلْ أَصَرَّ عَلَىٰ الْعِصْيَانِ فِي إِدْبَارِهِ وَإِقْبَالِهِ، وَصَالَحَ عَدُوَّهُ وَقَاطَعَ سَيِّدَهُ؛ فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْهَلَاكَ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَىٰ اللهِ إِلَّا الشَّقِيُّ الْهَالِكُ؛ لِعَظِيمِ رَحْمَتِهِ وَسَعَةِ إِفْضَالِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهًا وَاحِدًا أَحَدًا صَمَدًا، جَلَّ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَمْثَالِ، وَتَقَدَّسَ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ وَالشُّرَكَاءِ وَالْأَشْكَالِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَىٰ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، وَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِأَمْرِهِ: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١].

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْقَائِمُ لَهُ بِحَقِّهِ، وَأَمِينُهُ عَلَىٰ وَحْيِهِ، وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَإِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ، وَحَسْرَةً عَلَىٰ الْكَافِرِينَ، وَحُجَّةً عَلَىٰ الْعِبَادِ أَجْمَعِينَ، بَعَثَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، فَهَدَىٰ بِهِ إِلَىٰ أَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَوْضَحِ السُّبُلِ، وَافْتَرَضَ عَلَىٰ الْعِبَادِ طَاعَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ، وَتَعْظِيمَهُ وَتَوْقِيرَهُ، وَالْقِيَامَ بِحُقُوقِهِ، وَسَدَّ إِلَىٰ جَنَّتِهِ جَمِيعَ الطُّرُقِ فَلَمْ يَفْتَحْ لِأَحَدٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ، فَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَأَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ، وَقَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ فَلَا يُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرَ مَعَهُ، كَمَا فِي التَّشَهُّدِ وَالْخُطَبِ وَالتَّأْذِينِ.

فَلَمْ يَزَلْ ﷺ قَائِمًا بِأَمْرِ اللهِ لَا يَرُدُّهُ عَنْهُ رَادٌّ، مُشَمِّرًا فِي مَرْضَاةِ اللهِ لَا يَصُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ صَادٌّ، إِلَىٰ أَنْ أَشْرَقَتِ الدُّنْيَا بِرِسَالَتِهِ ضِيَاءً وَابْتِهَاجًا، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا أَفْوَاجًا، وَسَارَتْ دَعْوَتُهُ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الْأَقْطَارِ، وَبَلَغَ دِينُهُ الْقَيِّمُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، ثُمَّ اسْتَأْثَرَ اللهُ بِهِ لِيُنْجِزَ لَهُ مَا وَعَدَهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ بَعْدَ أَنْ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّىٰ الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ الْجِهَادِ، وَأَقَامَ الدِّينَ، وَتَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ الْوَاضِحَةِ الْبَيِّنَةِ لِلسَّالِكِينَ، وَقَالَ: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

- **أَمَّا بَعْدُ**(١)(*):

فَاعْلَمُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ- أَنَّهُ لَا صَلَاحَ لِلْعِبَادِ، وَلَا فَلَاحَ وَلَا نَجَاحَ، وَلَا حَيَاةَ طَيِّبَةً، وَلَا سَعَادَةَ فِي الدَّارَيْنِ، وَلَا نَجَاةَ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَوَّلِ مَفْرُوضٍ عَلَيْهِمْ، وَالْعَمَلِ بِهِ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي خَلَقَهُمُ اللهُ ﷻ لَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِهِ، وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ إِلَيْهِمْ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ عَلَيْهِمْ، وَلِأَجْلِهِ خُلِقَتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَبِهِ حَقَّتِ الْحَاقَّةُ، وَوَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، وَفِي شَأْنِهِ تُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، وَتَتَطَايَرُ الصُّحُفُ، وَفِيهِ تَكُونُ الشَّقَاوَةُ وَالسَّعَادَةُ، وَعَلَىٰ حَسَبِ ذَلِكَ تُقَسَّمُ الْأَنْوَارُ، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠].

---

(١) «**إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**» (١/ ٣-٥) لِلْعَلَّامَةِ: ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَصْلُ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ١٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٩هـ| ٣٠-٣-٢٠١٨م.

وَذَلِكَ الْأَمْرُ هُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ ﷻ بِإِلَهِيَّتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَتَوْحِيدُهُ بِذَلِكَ، وَمَعْرِفَةُ مَا يُنَاقِضُهُ أَوْ بَعْضَهُ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّعْطِيلِ، وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّشَبُّهِ، وَاجْتِنَابُ ذَلِكَ، وَالْإِيمَانُ بِمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَتَوْحِيدُ الطَّرِيقِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ بِمُتَابَعَةِ كِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، وَالْعَمَلِ وَفْقَ مَا شَرَعَهُ اللهُ ﷻ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ مَا يُنَاقِضُهَا مِنَ الْبِدَعِ الْمُضِلَّةِ وَيَمِيلُ بِالْعَبْدِ عَنْهَا، فَيُجَانِبُهَا كُلَّ الْمُجَانَبَةِ، وَيَعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا.

فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَنْزَلَ كِتَابَهُ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَالَ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الْأَنْعَام: ٣٥].

وَقَالَ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الْفُرْقَان: ٣٣].

وَأَرْسَلَ رَسُولَهُ بِذَلِكَ الْكِتَابِ مُبَلِّغًا وَمُبَيِّنًا؛ لِيَقْرَأَهُ عَلَىٰ النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ، وَيُبَيِّنَهُ لَهُمْ أَتَمَّ الْبَيَانِ، وَيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، وَيَهْدِيَهُمْ بِهِ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النَّحْل: ٨٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يُوسُف: ١١١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النَّحْل: ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النَّحْل: ٦٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ [الْمَائِدَة: ١٥-١٦].

وَلَا شِفَاءَ لِلْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ وَلَا حَيَاةَ لَهَا إِلَّا بِطَاعَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَرَسُولِهِ ﷺ، وَالِاسْتِجَابَةِ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- وَلِرَسُولِهِ ﷺ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾ [الْأَنْفَال: ٢٠-٢٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٣٦ ﴾ [الْأَنْعَام: ٣٦].

وَلَمْ يُنْجِ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنْ عَذَابِهِ، وَلَمْ يَكْتُبْ رَحْمَتَهُ إِلَّا لِمَنِ اتَّبَعَ كِتَابَهُ وَرَسُولَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ

يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الْأَعْرَاف: ١٥٦-١٥٧][(١)] .[(*)]

❊❊❊

(١) «**معارج القبول بشرح سلم الوصول**» (١/ ٥٥-٥٦) لِلشَّيْخِ العَلَّامَةِ: حافظ بن أحمد حكمي رَحِمَهُ اللهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ مَعَارِجِ الْقَبُولِ» (الْمُحَاضَرَةُ الأُولَىٰ)، الثُّلَاثَاءُ ٢٢ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٢هـ|٢٨-١٢-٢٠١٠م.

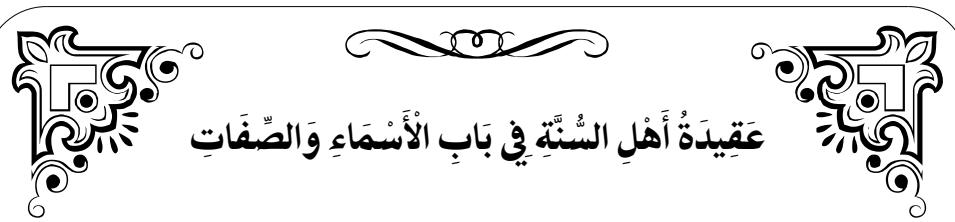

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

أَسْمَاءُ اللهِ الْحُسْنَىٰ هِيَ الَّتِي أَثْبَتَهَا -تَعَالَىٰ- لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهَا لَهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَآمَنَ بِهَا جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الْأَعْرَاف: ١٨٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الْإِسْرَاء: ١١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الْحَشْر: ٢٢-٢٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا،**

مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ».

أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١)»(٢). (*).

الْإِيمَانُ بِأَسْمَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلَىٰ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ بِاللهِ -تَعَالَىٰ-، وَهِيَ -أَيْ: تِلْكَ الْأَرْكَانُ-:

- **الْإِيمَانُ بِوُجُودِ اللهِ -تَعَالَىٰ-.**
- **وَالْإِيمَانُ بِرُبُوبِيَّتِهِ.**
- **وَالْإِيمَانُ بِأُلُوهِيَّتِهِ.**
- **وَالْإِيمَانُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.(*/٢).**

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: هُوَ اعْتِقَادُ أَنَّ اللهَ ﷻ خَالِقُ الْعِبَادِ، وَرَازِقُهُمْ، وَمُحْيِيهِمْ وَمُمِيتُهُمْ.

أَوْ: إِفْرَادُ اللهِ بِأَفْعَالِهِ؛ مِثْلُ: اعْتِقَادِ أَنَّهُ خَالِقٌ، وَرَزَّاقٌ، وَمَالِكٌ لِلْمُلْكِ، وَمُدَبِّرٌ لِلْأَمْرِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) «**معارج القبول بشرح سلم الوصول**» (١/ ١١٢-١١٣) لِلشَّيْخِ العَلَّامَةِ: حافظ بن أحمد حكمي رَحِمَهُ اللهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ مَعَارِجِ الْقَبُولِ» (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةُ)، الْخَمِيسُ ١٦ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٢هـ| ٢٠-١-٢٠١١م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ مَعَارِجِ الْقَبُولِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْعَاشِرَةُ)، الْخَمِيسُ ١٦ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٢هـ| ٢٠-١-٢٠١١م.

وَهَذَا أَقَرَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ السَّالِفُونَ، وَجَمِيعُ أَهْلِ الْمِلَلِ مِنَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ، وَالصَّابِئِينَ، وَالْمَجُوسِ، وَلَمْ يُنْكِرْ هَذَا التَّوْحِيدَ إِلَّا الدَّهْرِيَّةُ فِيمَا سَلَفَ، وَالشُّيُوعِيَّةُ فِي زَمَانِنَا.

الدَّلِيلُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ:

يُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنْكِرِينَ لِلرَّبِّ الْكَرِيمِ: إِنَّهُ لَا يَقْبَلُ ذُو عَقْلٍ أَنْ يَكُونَ أَثَرٌ بِلَا مُؤَثِّرٍ، وَفِعْلٌ بِلَا فَاعِلٍ، وَخَلْقٌ بِلَا خَالِقٍ.

وَمِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ: أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ إِبْرَةً أَيْقَنْتَ أَنَّ لَهَا صَانِعًا؛ فَكَيْفَ بِهَذَا الْكَوْنِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُبْهِرُ الْعُقُولَ، وَيُحَيِّرُ الْأَلْبَابَ؟!!

هَلْ وُجِدَ بِلَا مُوجِدٍ، وَنُظِّمَ بِلَا مُنَظِّمٍ؟!!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥].

تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ يُقَالُ لَهُ (تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ): وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ؛ لِأَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِأَنْ يُعْبَدَ.

وَهُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ إِلَىٰ أُمَمِهِمْ.

قَالَ اللهُ مُخْبِرًا عَنْ نُوحٍ عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: ٢٥-٢٦].

وَقَالَ عَنْ هُودٍ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ﴾ [هود: ٥٠].

وَقَالَ عَنْ صَالِحٍ: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾ [هود: ٦١].

وَقَالَ عَنْ شُعَيْبٍ: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾ [هود: ٨٤].

وَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقُولَ لِأَهْلِ الْكِتَابِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَالرُّسُلُ كُلُّهُمْ بُعِثُوا لِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَدَعْوَةِ الْقَوْمِ إِلَىٰ إِفْرَادِ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَاجْتِنَابِ عِبَادَةِ الطَّوَاغِيتِ وَالْأَصْنَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ [النحل: ٣٦].

فَهَذِهِ الْعِبَادَةُ لِأَجْلِهَا خَلَقَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَهِيَ تَوْحِيدُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذرايات:٥٦]: إِلَّا لِيُوَحِّدُونِي، إِلَّا لِيَصْرِفُوا الْعِبَادَةَ لِي وَحْدِي.

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يُفْرِدَ رَبَّهُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، مُخْلِصًا لِلَّهِ فِيهَا، وَأَنْ يَأْتِيَ بِهَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي سَنَّهُ رَسُولُ اللهِ قَوْلًا وَعَمَلًا؛ لِأَنَّ الْإِخْلَاصَ فِي الْعِبَادَةِ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ مُتَابَعَةٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَا تُقْبَلُ الْعِبَادَةُ بِهِ، وَكَذَلِكَ الْمُتَابَعَةُ مِنْ غَيْرِ إِخْلَاصٍ، حَتَّىٰ يَتَوَفَّرَ فِي الْعَمَلِ الَّذِي يَتَعَبَّدُ بِهِ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ:

الْإِخْلَاصُ، وَالْمُتَابَعَةُ.(*).

تَوْحِيدُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ أَحَدُ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

فَمَنْزِلَةُ الْعِلْمِ بِأَسْمَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَصِفَاتِهِ فِي دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَالِيَةٌ، وَأَهَمِّيَّتُهُ جَلِيلَةٌ وَعَظِيمَةٌ.

وَلَا يُمْكِنُ أَحَدًا أَنْ يَعْبُدَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ حَتَّىٰ يَكُونَ عَلَىٰ عِلْمٍ بِأَسْماءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَصِفَاتِهِ؛ لِيَعْبُدَهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ بَصِيرَةٍ.

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وَهَذَا يَشْمَلُ دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ وَدُعَاءَ الْعِبَادَةِ.

فَدُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ: أَنْ تُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيْ مَطْلُوبِكَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- مَا يَكُونُ مُنَاسِبًا؛ كَأَنْ تَقُولَ: يَا غَفُورُ اغْفِرْ لِي، يَا رَحِيمُ ارْحَمْنِي، يَا حَفِيظُ احْفَظْنِي، يَا غَنِيُّ أَغْنِنِي، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا دُعَاءُ الْعِبَادَةِ: فَأَنْ تَتَعَبَّدَ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- بِمُقْتَضَىٰ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، فَتَقُومَ بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ التَّوَّابُ، وَتَذْكُرَهُ بِلِسَانِكَ لِأَنَّهُ السَّمِيعُ، وَتَتَعَبَّدَ بِجَوَارِحِكَ لِأَنَّهُ الْبَصِيرُ، وَتَخْشَاهُ فِي السِّرِّ لِأَنَّهُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، وَهَكَذَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ تَطْهِيرِ الْجَنَانِ وَالْأَرْكَانِ عَنْ دَرَنِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرَانِ» (ص: ١٧-٣٦).

فَمَا أَمَرَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ مِنْ دُعَائِهِ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ يَشْمَلُ هَذَيْنِ الدُّعَائَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ؛ وَهُمَا: دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ، وَدُعَاءُ الْعِبَادَةِ.(*).

تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: هُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ الْعَبْدُ اعْتِقَادًا جَازِمًا أَنَّ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ أَوْصَافِهِ الْعُلَىٰ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَكَذَا مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ هِيَ حَقٌّ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ.

فَمِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ: صِفَةُ الْحَيَاةِ، وَهِيَ صِفَةٌ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَبِصَرِيحِ الْعَقْلِ، وَبِالْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي لَمْ يُصِبْهَا زَيْغٌ وَلَا غَبَشٌ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الْحَيُّ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُتَضَمِّنٌ لِصِفَةِ الْحَيَاةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَإِيمَانُنَا بِذَلِكَ: أَنْ نُثْبِتَ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الِاسْمَ، وَأَنْ نُؤْمِنَ بِمَا تَضَمَّنَهُ الِاسْمُ مِنْ صِفَةٍ، فَنُثْبِتُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صِفَةَ الْحَيَاةِ، وَنُثْبِتُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَذَا الِاسْمَ الشَّرِيفَ، وَهُوَ الْحَيُّ.

وَصِفَةُ الْعِلْمِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

صِفَةُ الْعِلْمِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَيْسَتْ كَصِفَةِ الْعِلْمِ لِلْمَخْلُوقِينَ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِلْمًا؛ فَإِنَّ عِلْمَ الْمَخْلُوقِ مَسْبُوقٌ بِجَهْلٍ، مَلْحُوقٌ بِنِسْيَانٍ، وَأَمَّا

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ مَعَارِجِ الْقَبُولِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْعَاشِرَةُ)، الْخَمِيسُ ١٦ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٢هـ| ٢٠-١-٢٠١١م.

عِلْمُ اللهِ فَلَيْسَ مَسْبُوقًا بِجَهْلٍ وَلَا مَلْحُوقًا بِنِسْيَانٍ -حَاشَاهُ-، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا سَيَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ.

وَصِفَةُ الْإِرَادَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

وَالْقُدْرَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠].

وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النساء: ١٣٤].

وَالْكَلَامِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

وَالرَّحْمَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ [الفاتحة: ١].

وَصِفَةُ الْحُبِّ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَالْيَدَيْنِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].

وَالْوَجْهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧].

وَالِاسْتِوَاءِ عَلَىٰ الْعَرْشِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]. **وَالنُّزُولِ؛ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُنَادِي: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟»**(١).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كتاب التهجد: باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، (١١٤٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: كتاب صلاة المسافرين، (٧٥٨)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا نَسْتَطِيعُ حَصْرَهَا.

وَالْوَاجِبُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ مِنْ صِفَاتِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ، إِثْبَاتًا بِلَا تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهًا بِلَا تَعْطِيلٍ.

وَالْقَوْلُ الشَّامِلُ فِي هَذَا الْبَابِ: أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ.

مَذْهَبُ السَّلَفِ حَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ؛ بَيْنَ بَاطِلِ التَّمْثِيلِ، وَبَاطِلِ التَّعْطِيلِ.

فَالْمُشَبِّهُ يَعْبُدُ صَنَمًا، وَالْمُعَطِّلُ يَعْبُدُ عَدَمًا، وَالْمُوَحِّدُ يَعْبُدُ إِلَهَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

وَالْآيَةُ الْجَامِعَةُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١].

فَصَدْرُ الْآيَةِ تَنْزِيهٌ لِلَّهِ عَنْ مُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهِيَ رَدٌّ عَلَىٰ الْمُشَبِّهَةِ.

وَآخِرُ الْآيَةِ إِثْبَاتُ صِفَتَيِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]، وَهِيَ رَدٌّ عَلَىٰ الْمُعَطِّلَةِ.

فَالسَّلَفُ الصَّالِحُ لَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِ اللهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، كَمَا لَا يُمَثِّلُونَ ذَاتَهُ بِذَاتِ خَلْقِهِ، وَلَا يُعَطِّلُونَهَا.

فَالْكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَنِ الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ، فَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ الْمُقَدَّسَةَ لَا تُشْبِهُ ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ فَصِفَاتُهُ لَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

فَإِذَا قُلْنَا: لِلَّهِ عِلْمٌ، وَلِلْمَخْلُوقِ عِلْمٌ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٩]، وَقَالَ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات: ٢٨]، وَقَالَ عَنْ نَبِيِّهِ يُوسُفَ عليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف: ٥٥]؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ عِلْمَ اللهِ لَيْسَ كَعِلْمِ يُوسُفَ أَوْ إِسْحَاقَ عليهما السلام.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧]، وَقَالَ فِي حَقِّ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]؛ فَلَيْسَتْ رَحْمَةُ اللهِ كَرَحْمَةِ الْمَخْلُوقِ، وَلَا رَأْفَتُهُ كَرَأْفَةِ الْمَخْلُوقِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج: ٧٥]، وَقَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وَقَالَ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢].

وَنَحْنُ لَا نَشُكُّ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْقُرْآنِ حَقٌّ، فَللهِ سَمْعٌ وَبَصَرٌ حَقِيقِيَّانِ لَائِقَانِ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، كَمَا أَنَّ لِلْمَخْلُوقِ سَمْعًا وَبَصَرًا حَقِيقِيَّيْنِ مُنَاسِبَيْنِ لِحَالِهِ مِنْ فَقْرِهِ وَفَنَائِهِ، وَبَيْنَ سَمْعِ وَبَصَرِ الْخَالِقِ وَسَمْعِ وَبَصَرِ الْمَخْلُوقِ كَمَثَلِ مَا بَيْنَ ذَاتِ الْخَالِقِ وَذَاتِ الْمَخْلُوقِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْحَيَاةِ، فَقَالَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]،

وَوَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِالْحَيَاةِ فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فَلَيْسَتْ حَيَاةُ الْخَالِقِ كَحَيَاةِ الْمَخْلُوقِ.

حَيَاةُ الْخَالِقِ لَيْسَتْ مِنْ غَيْرِهِ، وَحَيَاةُ الْمَخْلُوقِ مِنَ اللهِ، حَيَاةُ الْخَالِقِ لَيْسَتْ مَسْبُوقَةً بِعَدَمٍ، وَلَا يَلْحَقُهَا مَوْتٌ وَلَا فَنَاءٌ، وَهِيَ مَا بَيْنَهُمَا عَلَىٰ كَمَالِ الْحَيَاةِ، وَحَيَاةُ الْمَخْلُوقِ مَسْبُوقَةٌ بِالْعَدَمِ، وَيَلْحَقُهَا مَوْتٌ وَفَنَاءٌ.

وَقَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وَقَالَ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤].

فَلَيْسَ اسْتِوَاؤُهُ كَاسْتِوَاءِ السَّفِينَةِ عَلَىٰ الْجُودِيِّ -تَعَالَىٰ اللهُ وَتَنَزَّهَ-.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّنَا لَا نَتَعَدَّىٰ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، وَلَا نُؤَوِّلُ صِفَاتِ اللهِ الْوَارِدَةَ فِي الْوَحْيَيْنِ بِتَأْوِيلَاتِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ الْقَائِلِينَ: إِنَّ الْيَدَ بِمَعْنَىٰ النِّعْمَةِ، أَوْ بِمَعْنَىٰ الْقُدْرَةِ، يَقُولُونَ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] أَيْ: قُدْرَتُهُ أَوْ نِعْمَتُهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فَيُقَالُ: وَلَكِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ أَفَلَهُ قُدْرَتَانِ؟!!

وَيَقُولُونَ: الِاسْتِوَاءُ بِمَعْنَىٰ الِاسْتِيلَاءِ، وَالْوَجْهُ بِمَعْنَىٰ الذَّاتِ، وَالرَّحْمَةُ بِمَعْنَىٰ التَّفَضُّلِ، وَنُزُولُهُ بِمَعْنَىٰ نُزُولِ أَمْرِهِ أَوْ رَحْمَتِهِ أَوْ مَلَائِكَتِهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ الْفَاسِدَةِ النَّابِعَةِ مِنْ مَنَابِعِ الْفَلْسَفَةِ وَالْهَوَىٰ.

تِلْكَ التَّأْوِيلَاتُ الَّتِي تَؤُولُ بِالْإِنْسَانِ إِلَىٰ الْكُفْرِ، وَتَجْعَلُ الشَّرِيعَةَ أُلْعُوبَةً بِأَيْدِي الْمُبْطِلِينَ وَالْهَدَّامِينَ؛ بِحَيْثُ إِنَّهُ لَا يُرِيدُ مُبْطِلٌ أَنْ يَهْدِمَ عَقِيدَةً أَوْ حُكْمًا شَرْعِيًّا إِلَّا وَيَأْتِي مِنْ بَابِ التَّأْوِيلِ، وَكَفَىٰ بِهَذَا قُبْحًا وَضَلَالًا.

وَعَلَىٰ اعْتِقَادِ مَا وَصَفَ اللهُ بِه نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ رَسُولُهُ بِمَا أَتَىٰ فِي الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ مَضَىٰ عَصْرُ الرَّسُولِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُعْتَبَرِينَ؛ كَالْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَالْإِمَامِ مَالِكٍ، وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَالْبُخَارِيِّ، وَمُسْلِمٍ، وَالتِّرْمِذِيِّ، وَالنَّسَائِيِّ، وَأَبِي دَاوُدَ، وَالثَّوْرِيِّ، وَابْنِ عُيَيْنَةَ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ الْمُعْتَبَرِينَ، وَاللُّغَوِيِّينَ الْمُحَقِّقِينَ؛ كَالْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، وَثَعْلَبٍ، وَغَيْرِهِمَا.

فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا كُلِّهِ، وَأَنْ نُثْبِتَ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «شَرْحُ تَطْهِيرِ الْجَنَانِ وَالْأَرْكَانِ عَنْ دَرَنِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرَانِ» (ص: ١٤١-١٥٦).

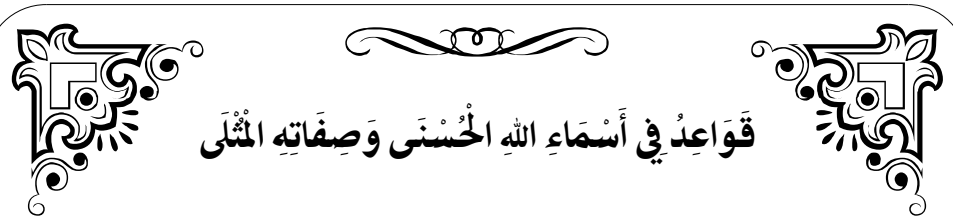

قَوَاعِدُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْمُثْلَى

كَثُرَ كَلَامُ النَّاسِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَصِفَاتِهِ، وَلَوْ رَجَعُوا إِلَىٰ قَوَاعِدِ السَّلَفِ الَّتِي قَرَّرُوهَا وَحَرَّرُوهَا وَخَطُّوهَا وَسَطَرُوهَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَصِفَاتِهِ لَارْتَفَعَ النِّزَاعُ، وَانْقَطَعَ الْخِلَافُ.

هُنَالِكَ قَوَاعِدُ تَتَعَلَّقُ بِأَسْمَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَقَوَاعِدُ تَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ ﷻ.(*).

*** قَوَاعِدُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- الْحُسْنَى:**

الْقَاعِدَةُ الْأُولَىٰ: أَسْمَاءُ اللهِ -تَعَالَىٰ- كُلُّهَا حُسْنَىٰ؛ أَيْ: بَالِغَةٌ فِي الْحُسْنِ غَايَتَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِصِفَاتٍ كَامِلَةٍ لَا نَقْصَ فِيهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، لَا احْتِمَالًا وَلَا تَقْدِيرًا.

مِثَالُ ذَلِكَ: (الْحَيُّ): اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، مُتَضَمِّنٌ لِلْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي لَمْ تُسْبَقْ بِعَدَمٍ، وَلَا يَلْحَقُهَا زَوَالٌ، الْحَيَاةُ الْمُسْتَلْزِمَةُ لِكَمَالِ الصِّفَاتِ مِنَ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ مَعَارِجِ الْقَبُولِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْعَاشِرَةُ)، الْخَمِيسُ ١٦ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٢هـ| ٢٠-١-٢٠١١م.

الْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَغَيْرِهَا.

وَمِثَالٌ آخَرُ: (الْعَلِيمُ): اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، مُتَضَمِّنٌ لِلْعِلْمِ الْكَامِلِ الَّذِي لَمْ يُسْبَقْ بِجَهْلٍ، وَلَا يَلْحَقُهُ نِسْيَانٌ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢]، الْعِلْمُ الْوَاسِعُ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا؛ سَوَاءٌ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِهِ، أَوْ أَفْعَالِ خَلْقِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾ [التغابن: ٤].

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ: أَسْمَاءُ اللهِ -تَعَالَىٰ- أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ؛ أَعْلَامٌ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهَا عَلَىٰ الذَّاتِ، وَأَوْصَافٌ بِاعْتِبَارِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي.

وَهِيَ بِالِاعْتِبَارِ الْأَوَّلِ مُتَرَادِفَةٌ؛ لِدَلَالَتِهَا عَلَىٰ مُسَمًّىٰ وَاحِدٍ، وَهُوَ اللهُ ﷻ، وَبِالِاعْتِبَارِ الثَّانِي مُتَبَايِنَةٌ؛ لِدَلَالَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ مَعْنَاهُ الْخَاصِّ.

فَـ(الْحَيُّ، الْعَلِيمُ، الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْعَزِيزُ، الْحَكِيمُ) كُلُّهَا أَسْمَاءٌ لِمُسَمًّىٰ وَاحِدٍ، وَهُوَ اللهُ ﷻ؛ لَكِنْ مَعْنَىٰ الْحَيِّ غَيْرُ مَعْنَىٰ الْعَلِيمِ، وَمَعْنَىٰ الْعَلِيمِ غَيْرُ مَعْنَىٰ الْقَدِيرِ، وَهَكَذَا.

الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: أَسْمَاءُ اللهِ -تَعَالَىٰ- إِنْ دَلَّتْ عَلَىٰ وَصْفٍ مُتَعَدٍّ تَضَمَّنَتْ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

أَحَدُهَا: ثُبُوتُ ذَلِكَ الِاسْمِ لِلَّهِ ﷻ.

الثَّانِي: ثُبُوتُ الصِّفَةِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا لِلَّهِ ﷻ.

الثَّالِثُ: ثُبُوتُ حُكْمِهَا وَمُقْتَضَاهَا.

مِثَالُ ذَلِكَ: (السَّمِيعُ) يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ السَّمِيعِ اسْمًا لِلَّهِ -تَعَالَىٰ-، وَإِثْبَاتَ السَّمْعِ صِفَةً لَهُ، وَإِثْبَاتَ حُكْمِ ذَلِكَ وَمُقْتَضَاهُ، وَهُوَ أَنَّهُ يَسْمَعُ السِّرَّ وَالنَّجْوَىٰ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة: ١].

وَإِنْ دَلَّتْ عَلَىٰ وَصْفٍ غَيْرِ مُتَعَدٍّ تَضَمَّنَتْ أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: ثُبُوتُ ذَلِكَ الِاسْمِ لِلَّهِ ﷻ.

الثَّانِي: ثُبُوتُ الصِّفَةِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا لِلَّهِ ﷻ.

مِثَالُ ذَلِكَ: (الْحَيُّ) يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ الْحَيِّ اسْمًا لِلَّهِ ﷻ، وَإِثْبَاتَ الْحَيَاةِ صِفَةً لَهُ.

الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ: دَلَالَةُ أَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ تَكُونُ بِالْمُطَابَقَةِ،

وَبِالتَّضَمُّنِ، وَبِالِالْتِزَامِ(١). (*).

فَدَلَالَةُ اسْمِهِ -تَعَالَىٰ- (الرَّحْمَنِ) عَلَىٰ ذَاتِهِ ﷻ مُطَابَقَةً، وَعَلَىٰ صِفَةِ الرَّحْمَةِ تَضَمُّنًا، وَعَلَىٰ الْحَيَاةِ وَغَيْرِهَا الْتِزَامًا، وَهَكَذَا سَائِرُ أَسْمَائِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ(٣). (*/٢).

الْقَاعِدَةُ الْخَامِسَةُ: أَسْمَاءُ اللهِ -تَعَالَىٰ- تَوْقِيفِيَّةٌ لَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِيهَا.

وَعَلَىٰ هَذَا فَيَجِبُ الْوُقُوفُ فِيهَا عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُمْكِنُهُ إِدْرَاكُ مَا يَسْتَحِقُّهُ -تَعَالَىٰ- مِنَ الْأَسْمَاءِ، فَوَجَبَ الْوُقُوفُ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ النَّصِّ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، **وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾** [الأعراف: ٣٣]، وَلِأَنَّ تَسْمِيَتَهُ -تَعَالَىٰ- بِمَا لَمْ يُسَمِّ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ إِنْكَارَ مَا سَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ جِنَايَةٌ فِي حَقِّهِ -تَعَالَىٰ-؛ فَوَجَبَ سُلُوكُ الْأَدَبِ فِي ذَلِكَ، وَالِاقْتِصَارُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ النَّصُّ.

---

(١) «**القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ**» (ص: ٦-١١) للعلَّامة: ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْقَوَاعِدِ الْمُثْلَىٰ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ الْحُسْنَىٰ» (مِنَ الْمُحَاضَرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَىٰ الرَّابِعَةِ) - رَبِيع الْأَوَّل ١٤٢٩هـ| ٣-٢٠٠٨م.

(٣) «**معارج القبول بشرح سلم الوصول**» (١/ ١١٩) لِلشَّيْخِ العَلَّامَةِ: حافظ بن أحمد حكمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ مَعَارِجِ الْقَبُولِ» (الْمُحَاضَرَةُ ١١)، الثُّلَاثَاءُ ٢١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٢هـ| ٢٥-١-٢٠١١م.

الْقَاعِدَةُ السَّادِسَةُ: أَسْمَاءُ اللهِ -تَعَالَىٰ- غَيْرُ مَحْصُورَةٍ بِعَدَدٍ مُعَيَّنٍ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...**»(١). الْحَدِيثَ، رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ صَحِيحٌ.

وَمَا اسْتَأْثَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ لَا يُمْكِنُ أَحَدًا حَصْرُهُ وَلَا الْإِحَاطَةُ بِهِ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٢)؛ فَلَا يَدُلُّ عَلَىٰ حَصْرِ الْأَسْمَاءِ بِهَذَا الْعَدَدِ، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ الْحَصْرَ لَكَانَتِ الْعِبَارَةُ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

إِذَنْ؛ فَمَعْنَىٰ الْحَدِيثِ: أَنَّ هَذَا الْعَدَدَ مِنْ شَأْنِهِ أَنَّ مَنْ أَحْصَاهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

وَعَلَىٰ هَذَا فَيَكُونُ قَوْلُهُ: «**مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» جُمْلَةٌ مُكَمِّلَةٌ لِمَا قَبْلَهَا، وَلَيْسَتْ مُسْتَقِلَّةً، وَنَظِيرُ هَذَا أَنْ تَقُولَ: عِنْدِي مِائَةُ دِرْهَمٍ أَعْدَدْتُهَا لِلصَّدَقَةِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ دَرَاهِمُ أُخْرَىٰ لَمْ تُعِدَّهَا لِلصَّدَقَةِ.

وَلَمْ يَصِحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تَعْيِينُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَالْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ عَنْهُ تَعْيِينُهَا ضَعِيفٌ.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧١٢) واللفظ له، وابن حبان (٩٧٢)، والطبراني (١٠/ ٢١٠) (١٠٣٥٢)، وصححه الألباني في «**السلسلة الصحيحة**» (١٩٩).

(٢) تقدم تخريجه.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ كَمَا فِي «الْفَتَاوَىٰ»(١): «تَعْيِينُهَا لَيْسَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِحَدِيثِهِ».

وَقَالَ قَبْلَ ذَلِكَ(٢): «إِنَّ الْوَلِيدَ ذَكَرَهَا عَنْ بَعْضِ شُيُوخِهِ الشَّامِيِّينَ، كَمَا جَاءَ مُفَسَّرًا فِي بَعْضِ طُرُقِ حَدِيثِهِ».

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «إِحْصَاؤُهَا: حِفْظُهَا لَفْظًا، وَفَهْمُهَا مَعْنًىٰ، وَتَمَامُهُ: أَنْ يَتَعَبَّدَ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- بِمُقْتَضَاهَا».

الْقَاعِدَةُ السَّابِعَةُ: الْإِلْحَادُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- هُوَ الْمَيْلُ بِهَا عَمَّا يَجِبُ فِيهَا.

وَهُوَ أَنْوَاعٌ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يُنْكِرَ شَيْئًا مِنْهَا أَوْ مِمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَحْكَامِ، كَمَا فَعَلَ أَهْلُ التَّعْطِيلِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ إِلْحَادًا لِوُجُوبِ الْإِيمَانِ بِهَا، وَبِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِاللهِ، فَإِنْكَارُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَيْلٌ بِهَا عَمَّا يَجِبُ فِيهَا.

الثَّانِي: أَنْ يَجْعَلَهَا دَالَّةً عَلَىٰ صِفَاتٍ تُشَابِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا فَعَلَ أَهْلُ التَّشْبِيهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّشْبِيهَ مَعْنًىٰ بَاطِلٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَدُلَّ عَلَيْهِ النُّصُوصُ، بَلْ هِيَ دَالَّةٌ عَلَىٰ بُطْلَانِهِ.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٣٨٢).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٣٧٩).

الثَّالِثُ: أَنْ يُسَمِّيَ اللهَ -تَعَالَىٰ- بِمَا لَمْ يُسَمِّ بِهِ نَفْسَهُ؛ كَتَسْمِيَةِ النَّصَارَىٰ لَهُ: (الْآب)، وَتَسْمِيَةِ الْفَلَاسِفَةِ إِيَّاهُ (الْعِلَّةَ الْفَاعِلَةَ)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ -تَعَالَىٰ- تَوْقِيفِيَّةٌ، فَتَسْمِيَةُ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِمَا لَمْ يُسَمِّ بِهِ نَفْسَهُ مَيْلٌ بِهَا عَمَّا يَجِبُ فِيهَا، كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ الَّتِي سَمَّوْهُ بِهَا نَفْسَهَا بَاطِلَةٌ يُنَزَّهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنْهَا.

الرَّابِعُ: أَنْ يُشْتَقَّ مِنْ أَسْمَائِهِ أَسْمَاءٌ لِلْأَصْنَامِ، كَمَا فَعَلَ الْمُشْرِكُونَ فِي اشْتِقَاقِ الْعُزَّىٰ مِنَ الْعَزِيزِ، وَاشْتِقَاقِ اللَّاتِ مِنَ الْإِلَهِ عَلَىٰ أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ، فَسَمَّوْا بِهَا أَصْنَامَهُمْ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ -تَعَالَىٰ- مُخْتَصَّةٌ بِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨**﴾ [طه: ٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿**لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ [الحشر: ٢٤].

فَكَمَا اخْتُصَّ بِالْعِبَادَةِ وَبِالْأُلُوهِيَّةِ الْحَقَّةِ، وَبِأَنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ فَهُوَ مُخْتَصٌّ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، فَتَسْمِيَةُ غَيْرِهِ بِهَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِاللهِ ﷻ مَيْلٌ بِهَا عَمَّا يَجِبُ فِيهَا.

وَالْإِلْحَادُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ مُحَرَّمٌ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- هَدَّدَ الْمُلْحِدِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿**وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وَمِنْهُ مَا يَكُونُ شِرْكًا أَوْ كُفْرًا حَسْبَمَا تَقْتَضِيهِ الْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ.

*** قَوَاعِدُ فِي صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ-:**

الْقَاعِدَةُ الْأُولَىٰ: صِفَاتُ اللهِ -تَعَالَىٰ- كُلُّهَا صِفَاتُ كَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهَا

بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ؛ كَالْحَيَاةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْعِزَّةِ، وَالْحِكْمَةِ، وَالْعُلُوِّ، وَالْعَظَمَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل: ٦٠].

وَالْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ: هُوَ الْوَصْفُ الْأَعْلَىٰ.

وَإِذَا كَانَتِ الصِّفَةُ نَقْصًا لَا كَمَالَ فِيهَا فَهِيَ مُمْتَنِعَةٌ فِي حَقِّ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ كَالْمَوْتِ، وَالْجَهْلِ، وَالنِّسْيَانِ، وَالْعَجْزِ، وَالْعَمَىٰ، وَالصَّمَمِ، وَنَحْوِهَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وَقَوْلِهِ عَنْ مُوسَىٰ: ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الدَّجَّالِ: «**إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»(١).

وَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٧)، ومسلم (١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

وَقَدْ عَاقَبَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْوَاصِفِينَ لَهُ بِالنَّقْصِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران: ١٨١].

وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَمَّا يَصِفُونَ بِهِ مِنَ النَّقَائِصِ، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١].

وَإِذَا كَانَتِ الصِّفَةُ كَمَالًا فِي حَالٍ، وَنَقْصًا فِي حَالٍ؛ لَمْ تَكُنْ جَائِزَةً فِي حَقِّ اللهِ وَلَا مُمْتَنِعَةً عَلَىٰ سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ، فَلَا تُثْبَتُ لَهُ إِثْبَاتًا مُطْلَقًا، وَلَا تُنْفَىٰ عَنْهُ نَفْيًا مُطْلَقًا، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ، فَتَجُوزُ فِي الْحَالِ الَّتِي تَكُونُ كَمَالًا، وَتَمْتَنِعُ فِي الْحَالِ الَّتِي تَكُونُ نَقْصًا؛ وَذَلِكَ كَالْمَكْرِ، وَالْكَيْدِ، وَالْخِدَاعِ، وَنَحْوِهَا، فَهَذِهِ الصِّفَاتُ تَكُونُ كَمَالًا إِذَا كَانَتْ فِي مُقَابَلَةِ مَنْ يُعَامِلُونَ الْفَاعِلَ بِمِثْلِهَا؛ لِأَنَّهَا -حِينَئِذٍ- تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ فَاعِلَهَا قَادِرٌ عَلَىٰ مُقَابَلَةِ عَدُوِّهِ بِمِثْلِ فِعْلِهِ أَوْ أَشَدَّ، وَتَكُونُ نَقْصًا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْحَالِ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرْهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنْ صِفَاتِهِ عَلَىٰ سَبِيلِ

الْإِطْلَاقِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهَا فِي مُقَابَلَةِ مَنْ يُعَامِلُونَهُ وَرُسُلَهُ بِمِثْلِهَا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

وَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهُ أَنَّهُ خَانَ مَنْ خَانُوهُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال: ٧١].

فَقَالَ: ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۚ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: فَخَانَهُمْ؛ لِأَنَّ الْخِيَانَةَ خُدْعَةٌ فِي مَقَامِ الِائْتِمَانِ، وَهِيَ صِفَةُ ذَمٍّ مُطْلَقًا.

وَبِذَا عُرِفَ أَنَّ قَوْلَ بَعْضِ الْعَوَامِّ: خَانَ اللهُ مَنْ يَخُونُ؛ مُنْكَرٌ فَاحِشٌ يَجِبُ النَّهْيُ عَنْهُ.

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ: بَابُ الصِّفَاتِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الْأَسْمَاءِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ اسْمٍ مُتَضَمِّنٌ لِصِفَةٍ، وَلِأَنَّ مِنَ الصِّفَاتِ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَأَفْعَالُهُ لَا مُنْتَهَىٰ لَهَا، كَمَا أَنَّ أَقْوَالَهُ لَا مُنْتَهَىٰ لَهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧].

الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: صِفَاتُ اللهِ -تَعَالَىٰ- تَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ: ثُبُوتِيَّةٍ، وَسَلْبِيَّةٍ.

فَالثُّبُوتِيَّةُ: مَا أَثْبَتَ اللهُ -تَعَالَىٰ- لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَكُلُّهَا صِفَاتُ كَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ؛ كَالْحَيَاةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالِاسْتِوَاءِ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَالنُّزُولِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَالْوَجْهِ، وَالْيَدَيْنِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَيَجِبُ إِثْبَاتُهَا لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- حَقِيقَةً عَلَىٰ الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ.

وَالصِّفَاتُ السَّلْبِيَّةُ: مَا نَفَاهَا اللهُ -سُبْحَانَهُ- عَنْ نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَكُلُّهَا صِفَاتُ نَقْصٍ فِي حَقِّهِ؛ كَالْمَوْتِ، وَالنَّوْمِ، وَالْجَهْلِ، وَالنِّسْيَانِ، وَالْعَجْزِ، وَالتَّعَبِ.

فَيَجِبُ نَفْيُهَا عَنِ اللهِ -تَعَالَىٰ- مَعَ إِثْبَاتِ ضِدِّهَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَا نَفَاهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنْ نَفْسِهِ فَالْمُرَادُ بِهِ: بَيَانُ انْتِفَائِهِ لِثُبُوتِ كَمَالِ ضِدِّهِ، لَا لِمُجَرَّدِ نَفْيِهِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ لَيْسَ بِكَمَالٍ إِلَّا أَنْ يَتَضَمَّنَ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ الْكَمَالِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّفْيَ عَدَمٌ، وَالْعَدَمُ لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ كَمَالًا.

مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، فَنَفْيُ الْمَوْتِ عَنْهُ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ حَيَاتِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩]، نَفْيُ الظُّلْمِ عَنْهُ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ عَدْلِهِ.

الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ: الصِّفَاتُ الثُّبُوتِيَّةُ صِفَاتُ مَدْحٍ وَكَمَالٍ؛ فَكُلَّمَا كَثُرَتْ وَتَنَوَّعَتْ دَلَالَاتُهَا ظَهَرَ مِنْ كَمَالِ الْمَوْصُوفِ بِهَا مَا هُوَ أَكْثَرُ؛ وَلِهَذَا كَانَتِ الصِّفَاتُ الثُّبُوتِيَّةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ أَكْثَرَ بِكَثِيرٍ مِنَ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ-.

أَمَّا الصِّفَاتُ السَّلْبِيَّةُ فَلَمْ تُذْكَرْ غَالِبًا إِلَّا فِي الْأَحْوَالِ التَّالِيَةِ:

الْأُولَىٰ: بَيَانُ عُمُومِ كَمَالِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤].

الثَّانِيَةُ: نَفْيُ مَا ادَّعَاهُ فِي حَقِّهِ الْكَاذِبُونَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم: ٩١-٩٢].

الثَّالِثَةُ: دَفْعُ تَوَهُّمِ نَقْصٍ مِنْ كَمَالِهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْأَمْرِ الْمُعَيَّنِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الدخان: ٣٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨].

الْقَاعِدَةُ الْخَامِسَةُ: الصِّفَاتُ الثُّبُوتِيَّةُ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ: ذَاتِيَّةٍ، وَفِعْلِيَّةٍ.

فَالذَّاتِيَّةُ: هِيَ الَّتِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَتَّصِفًا بِهَا؛ كَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْعِزَّةِ، وَالْحِكْمَةِ، وَالْعُلُوِّ، وَالْعَظَمَةِ.

وَمِنْهَا: الصِّفَاتُ الْخَبَرِيَّةُ؛ كَالْوَجْهِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالْعَيْنَيْنِ.

وَالْفِعْلِيَّةُ: هِيَ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ؛ إِنْ شَاءَ فَعَلَهَا، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَفْعَلْهَا؛ كَالِاسْتِوَاءِ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَالنُّزُولِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

وَقَدْ تَكُونُ الصِّفَةُ ذَاتِيَّةً فِعْلِيَّةً بِاعْتِبَارَيْنِ؛ كَالْكَلَامِ، فَإِنَّهُ بِاعْتِبَارِ أَصْلِهِ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مُتَكَلِّمًا، وَبِاعْتِبَارِ آحَادِ الْكَلَامِ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ، يَتَكَلَّمُ مَتَىٰ شَاءَ بِمَا شَاءَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢].

وَكُلُّ صِفَةٍ تَعَلَّقَتْ بِمَشِيئَتِهِ -تَعَالَىٰ- فَإِنَّهَا تَابِعَةٌ لِحِكْمَتِهِ، وَقَدْ تَكُونُ الْحِكْمَةُ مَعْلُومَةً لَنَا، وَقَدْ نَعْجِزُ عَنْ إِدْرَاكِهَا؛ وَلَكِنَّنَا نَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- لَا يَشَاءُ شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ مُوَافِقٌ لِلْحِكْمَةِ، كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٣٠﴾ [الإنسان: ٣٠].

الْقَاعِدَةُ السَّادِسَةُ: يَلْزَمُ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ التَّخَلِّي عَنْ مَحْذُورَيْنِ عَظِيمَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: التَّمْثِيلُ.

وَالثَّانِي: التَّكْيِيفُ.

فَأَمَّا التَّمْثِيلُ: فَهُوَ اعْتِقَادُ الْمُثْبِتِ أَنَّ مَا أَثْبَتَهُ مِنْ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ- مُمَاثِلٌ لِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَذَا اعْتِقَادٌ بَاطِلٌ بِدَلِيلِ السَّمْعِ وَالْعَقْلِ.

أَمَّا السَّمْعُ؛ فَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤].

وَأَمَّا الْعَقْلُ فَمِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ قَدْ عُلِمَ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ تَبَايُنًا فِي الذَّاتِ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا تَبَايُنٌ فِي الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ صِفَةَ كُلِّ مَوْصُوفٍ تَلِيقُ بِهِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ فِي صِفَاتِ الْمَخْلوقَاتِ الْمُتَبَاينَةِ فِي الذَّوَاتِ، فَقُوَّةُ الْبَعِيرِ -مَثَلًا- غَيْرُ قُوَّةِ الذَّرَّةِ، فَإِذَا ظَهَرَ التَّبَايُنُ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ مَعَ اشْتِرَاكِهَا فِي الْإِمْكَانِ وَالْحُدُوثِ؛ فَظُهُورُ التَّبَايُنِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْخَالِقِ أَجْلَىٰ وَأَقْوَىٰ.

الثَّانِي: أَنْ يُقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ الرَّبُّ الْخَالِقُ الْكَامِلُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ مُشَابِهًا فِي صِفَاتِهِ لِلْمَخْلُوقِ الْمَرْبُوبِ النَّاقِصِ الْمُفْتَقِرِ إِلَىٰ مَنْ يُكَمِّلُهُ؟!!

وَهَلِ اعْتِقَادُ ذَلِكَ إِلَّا تَنَقُّصٌ لِحَقِّ الْخَالِقِ؛ فَإِنَّ تَشْبِيهَ الْكَامِلِ بِالنَّاقِصِ يَجْعَلُهُ نَاقِصًا.

الثَّالِثُ: أَنَّنَا نُشَاهِدُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا يَتَّفِقُ فِي الْأَسْمَاءِ، وَيَخْتَلِفُ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْكَيْفِيَّةِ، فَنُشَاهِدُ أَنَّ لِلْإِنْسَانِ يَدًا لَيْسَتْ كَيَدِ الْفِيلِ، وَلَهُ قُوَّةٌ لَيْسَتْ كَقُوَّةِ الْجَمَلِ، مَعَ الِاتِّفَاقِ فِي الِاسْمِ، فَهَذِهِ يَدٌ وَهَذِهِ يَدٌ، وَهَذِهِ قُوَّةٌ وَهَذِهِ قُوَّةٌ، وَبَيْنَهُمَا تَبَايُنٌ فِي الْكَيْفِيَّةِ وَالْوَصْفِ؛ فَعُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ الِاتِّفَاقَ فِي الِاسْمِ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ الِاتِّفَاقُ فِي الْحَقِيقَةِ.

وَالتَّشْبِيهُ كَالتَّمْثِيلِ، وَقَدْ يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ التَّمْثِيلَ: التَّسْوِيَةُ فِي كُلِّ الصِّفَاتِ، وَالتَّشْبِيهَ: التَّسْوِيَةُ فِي أَكْثَرِ الصِّفَاتِ؛ لَكِنَّ التَّعْبِيرَ بِنَفْيِ التَّمْثِيلِ أَوْلَىٰ؛ لِمُوَافَقَةِ الْقُرْآنِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وَأَمَّا التَّكْيِيفُ: فَهُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ الْمُثْبِتُ أَنَّ كَيْفِيَّةَ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ- كَذَا وَكَذَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقَيِّدَهَا بِمُمَاثِلٍ، وَهَذَا اعْتِقَادٌ بَاطِلٌ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَا عِلْمَ لَنَا بِكَيْفِيَّةِ صِفَاتِ رَبِّنَا؛ لِأَنَّهُ -تَعَالَىٰ- أَخْبَرَنَا عَنْهَا، وَلَمْ يُخْبِرْنَا عَنْ كَيْفِيَّتِهَا، فَيَكُونُ تَكْيِيفُنَا قَفْوًا لِمَا لَيْسَ لَنَا بِهِ عِلْمٌ، وَقَوْلًا بِمَا لَا يُمْكِنُنَا الْإِحَاطَةُ بِهِ.

وَأَمَّا الْعَقْلُ؛ فَلِأَنَّ الشَّيْءَ لَا تُعْرَفُ كَيْفِيَّةُ صِفَاتِهِ إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ ذَاتِهِ، أَوِ الْعِلْمِ بِنَظِيرِهِ الْمُسَاوِي لَهُ، أَوْ بِالْخَبَرِ الصَّادِقِ عَنْهُ، وَكُلُّ هَذِهِ الطُّرُقِ مُنْتَفِيَةٌ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِ اللهِ ﷻ؛ فَوَجَبَ بُطْلَانُ تَكْيِيفِهَا.

وَأَيْضًا فَإِنَّنَا نَقُولُ: أَيُّ كَيْفِيَّةٍ تُقَدِّرُهَا لِصِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ-؟

إِنَّ أَيَّ كَيْفِيَّةٍ تُقَدِّرُهَا فِي ذِهْنِكَ فَاللهُ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ ذَلِكَ.

وَأَيَّ كَيْفِيَّةٍ تُقَدِّرُهَا لِصِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ- فَإِنَّكَ سَتَكُونُ كَاذِبًا فِيهَا؛ لِأَنَّهُ لَا عِلْمَ لَكَ بِذَلِكَ.

وَحِينَئِذٍ يَجِبُ الْكَفُّ عَنِ التَّكْيِيفِ تَقْدِيرًا بِالْجَنَانِ، أَوْ تَقْرِيرًا بِاللِّسَانِ، وَتَحْرِيرًا بِالْبَنَانِ.

وَلِهَذَا لَمَّا سُئِلَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]؛ كَيْفَ اسْتَوَىٰ؟

أَطْرَقَ رَحِمَهُ اللهُ بِرَأْسِهِ حَتَّىٰ عَلَاهُ الرُّحَضَاءُ -الْعَرَقُ-، ثُمَّ قَالَ: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ».

وَرُوِيَ عَنْ شَيْخِهِ رَبِيعَةَ -أَيْضًا-: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ».

وَقَدْ مَشَىٰ أَهْلُ الْعِلْمِ بَعْدَهُمَا عَلَىٰ هَذَا الْمِيزَانِ.

وَإِذَا كَانَ الْكَيْفُ غَيْرَ مَعْقُولٍ وَلَمْ يَرِدْ بِهِ الشَّرْعُ؛ فَقَدِ انْتَفَىٰ عَنْهُ الدَّلِيلَانِ الْعَقْلِيُّ وَالشَّرْعِيُّ، فَوَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ.

فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنَ التَّكْيِيفِ أَوْ مُحَاوَلَتِهِ؛ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ وَقَعْتَ فِي مَفَاوِزَ لَا تَسْتَطِيعُ الْخَلَاصَ مِنْهَا، وَإِنْ أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ نَزَغَاتِهِ، فَالْجَأْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَإِنَّهُ مَعَاذُكَ، وَافْعَلْ مَا أَمَرَكَ بِهِ فَإِنَّهُ طَبِيبُكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [فصلت: ٣٦].

الْقَاعِدَةُ السَّابِعَةُ: صِفَاتُ اللهِ -تَعَالَىٰ- تَوْقِيفِيَّةٌ لَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِيهَا، فَلَا نُثْبِتُ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- مِنَ الصِّفَاتِ إِلَّا مَا دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَىٰ ثُبُوتِهِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: «لَا يُوصَفُ اللهُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، لَا يُتَجَاوَزُ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ»(١).(*).

ﮘ ❁ ❁ ❁ ﮗ

---

(١) «**القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ**» (ص: ١٢-٢٨) للعلَّامة: ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْقَوَاعِدِ الْمُثْلَىٰ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ الْحُسْنَىٰ» (مِنَ الْمُحَاضَرَةِ ٦ إِلَىٰ ١٢» - رَبِيع الْأَوَّل وَالثَّانِي ١٤٢٩هـ| ٣، ٤ -٢٠٠٨م.

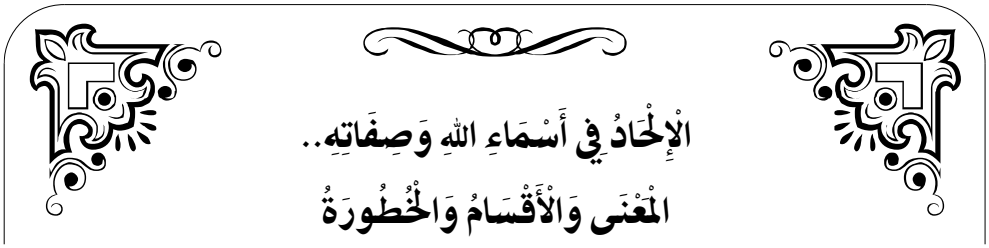

الْإِلْحَادُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ.. الْمَعْنَى وَالْأَقْسَامُ وَالْخُطُورَةُ

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

«هَذَا بَيَانٌ لِعَظِيمِ جَلَالِهِ وَسِعَةِ أَوْصَافِهِ بِأَنَّ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ، أَيْ: لَهُ كُلُّ اسْمٍ حَسَنٍ، وَضَابِطُهُ: أَنَّهُ كُلُّ اسْمٍ دَالٍّ عَلَىٰ صِفَةِ كَمَالٍ عَظِيمَةٍ، وَبِذَلِكَ كَانَتْ حُسْنَىٰ، فَإِنَّهَا لَوْ دَلَّتْ عَلَىٰ غَيْرِ صِفَةٍ، بَلْ كَانَتْ عَلَمًا مَحْضًا؛ لَمْ تَكُنْ حُسْنَىٰ، وَكَذَلِكَ لَوْ دَلَّتْ عَلَىٰ صِفَةٍ لَيْسَتْ بِصِفَةِ كَمَالٍ، بَلْ إِمَّا صِفَةَ نَقْصٍ، أَوْ صِفَةً مُنْقَسِمَةً إِلَىٰ الْمَدْحِ وَالْقَدْحِ؛ لَمْ تَكُنْ حُسْنَىٰ، فَكُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ دَالٌّ عَلَىٰ جَمِيعِ الصِّفَةِ الَّتِي اشْتُقَّ مِنْهَا، مُسْتَغْرِقٌ لِجَمِيعِ مَعْنَاهَا.

وَذَلِكَ نَحْوُ (الْعَلِيمِ) الدَّالِّ عَلَىٰ أَنَّ لَهُ عِلْمًا مُحِيطًا عَامًّا لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، فَلَا يَخْرُجُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

وَ (الرَّحِيمِ) الدَّالِّ عَلَىٰ أَنَّ لَهُ رَحْمَةً عَظِيمَةً وَاسِعَةً لِكُلِّ شَيْءٍ.

وَ (الْقَدِيرِ) الدَّالِّ عَلَىٰ أَنَّ لَهُ قُدْرَةً عَامَّةً لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَمِنْ تَمَامِ كَوْنِهَا حُسْنَىٰ: أَنَّهُ لَا يُدْعَىٰ إِلَّا بِهَا؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، وَهَذَا شَامِلٌ لِدُعَاءِ الْعِبَادَةِ وَدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ، فَيُدْعَىٰ فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ بِمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ الْمَطْلُوبَ، فَيَقُولُ الدَّاعِي -مَثَلًا-: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَتُبْ عَلَيَّ يَا تَوَّابُ، وَارْزُقْنِي يَا رَزَّاقُ، وَالْطُفْ بِي يَا لَطِيفُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ أَيْ: عُقُوبَةً وَعَذَابًا عَلَىٰ إِلْحَادِهِمْ فِي أَسْمَائِهِ.

وَحَقِيقَةُ الْإِلْحَادِ: الْمَيْلُ بِهَا عَمَّا جُعِلَتْ لَهُ:

-إِمَّا بِأَنْ يُسَمَّىٰ بِهَا مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا؛ كَتَسْمِيَةِ الْمُشْرِكِينَ بِهَا لِآلِهَتِهِمْ.

-وَإِمَّا بِنَفْيِ مَعَانِيهَا وَتَحْرِيفِهَا، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهَا مَعْنًىٰ مَا أَرَادَهُ اللهُ وَلَا رَسُولُهُ.

-وَإِمَّا أَنْ يُشَبَّهَ بِهَا غَيْرُهَا.

فَالْوَاجِبُ أَنْ يُحْذَرَ الْإِلْحَادُ فِيهَا، وَيُحْذَرَ الْمُلْحِدُونَ فِيهَا، وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١)»(٢).

﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الْأَعْرَاف: ١٨٠].

«**قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَمُجَاهِدٌ:** «هُمُ الْمُشْرِكُونَ، عَدَلُوا بِأَسْمَاءِ اللهِ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٣٥١-٣٥٢).

-تَعَالَىٰ- عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ، فَسَمَّوْا بِهَا أَوْثَانَهُمْ، فَزَادُوا وَنَقَصُوا، فَاشْتَقُّوا اللَّاتَ مِنَ اللهِ، وَالْعُزَّىٰ مِنَ الْعَزِيزِ، وَمَنَاةَ مِنَ الْمَنَّانِ».

وَقِيلَ: «هِيَ تَسْمِيَتُهُمُ الْأَصْنَامَ آلِهَةً».

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «﴿يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ أَيْ: يُكَذِّبُونَ».

وَقَالَ قَتَادَةُ: «﴿يُلْحِدُونَ﴾: يُشْرِكُونَ فِي أَسْمَائِهِ».

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «الْإِلْحَادُ: التَّكْذِيبُ»»[1].

وَأَصْلُ الْإِلْحَادِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْعُدُولُ عَنِ الْقَصْدِ، وَالْمَيْلُ وَالْجَوْرُ وَالِانْحِرَافُ، وَمِنْهُ: اللَّحْدُ فِي الْقَبْرِ؛ لِانْحِرَافِهِ إِلَىٰ جِهَةِ الْقِبْلَةِ عَنْ سِمَةِ الْحَفْرِ.

وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَةٌ، وَالْإِلْحَادُ يَعُمُّهَا، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: إِلْحَادُ الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَمُجَاهِدٌ؛ مِنْ عُدُولِهِمْ بِأَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ، وَتَسْمِيَتِهِمْ أَوْثَانَهُمْ بِهَا؛ مُضَاهَاةً لِلَّهِ ﷻ، وَمُشَاقَّةً لَهُ وَلِلرَّسُولِ ﷺ.

الثَّانِي: إِلْحَادُ الْمُشَبِّهَةِ الَّذِينَ يُكَيِّفُونَ صِفَاتِ اللهِ ﷻ، وَيُشَبِّهُونَهَا بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ مُضَادَّةً لَهُ -تَعَالَىٰ-، وَرَدًّا لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

وَهُوَ مُقَابِلٌ لِإِلْحَادِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَأُولَئِكَ جَعَلُوا الْمَخْلُوقَ بِمَنْزِلَةِ الْخَالِقِ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٨٠).

وَسَوَّوْهُ بِهِ، وَهَؤُلَاءِ جَعَلُوا الْخَالِقَ بِمَنْزِلَةِ الْأَجْسَامِ الْمَخْلُوقَةِ، وَشَبَّهُوهُ بِهَا -تَعَالَىٰ، وَتَقَدَّسَ عَنْ إِفْكِهِمْ-.

الثَّالِثُ: إِلْحَادُ النُّفَاةِ، وَهُمْ قِسْمَانِ:

- قِسْمٌ أَثْبَتُوا أَلْفَاظَ أَسْمَائِهِ -تَعَالَىٰ- دُونَ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَقَالُوا: رَحْمَنٌ رَحِيمٌ بِلَا رَحْمَةٍ، عَلِيمٌ بِلَا عِلْمٍ، حَكِيمٌ بِلَا حِكْمَةٍ، قَدِيرٌ بِلَا قُدْرَةٍ، سَمِيعٌ بِلَا سَمْعٍ، بَصِيرٌ بِلَا بَصَرٍ، وَاطَّرَدُوا بَقِيَّةَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ -هَكَذَا-، وَعَطَّلُوهَا عَنْ مَعَانِيهَا وَمَا تَقْتَضِيهِ وَتَتَضَمَّنُهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ-، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ كَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَإِنَّمَا أَثْبَتُوا الْأَلْفَاظَ دُونَ الْمَعَانِي تَسَتُّرًا، وَهُوَ لَا يَنْفَعُهُمْ.

- وَقِسْمٌ لَمْ يَتَسَتَّرُوا بِمَا تَسَتَّرَ بِهِ إِخْوَانُهُمْ، بَلْ صَرَّحُوا بِنَفْيِ الْأَسْمَاءِ وَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي، وَاسْتَرَاحُوا مِنْ تَكَلُّفِ أُولَئِكَ، وَصَفُوا اللهَ -تَعَالَىٰ- بِالْعَدَمِ الْمَحْضِ الَّذِي لَا اسْمَ لَهُ وَلَا صِفَةَ، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ جَاحِدُونَ لِوُجُودِ ذَاتِهِ -تَعَالَىٰ-، مُكَذِّبُونَ بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلَ اللهُ بِهِ رُسُلَهُ.

وَكُلُّ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ الْأَقْسَامِ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ يُكَفِّرُ مُقَابِلَهُ، وَهُمْ كَمَا قَالُوا كُلُّهُمْ؛ كَفَّارٌ بِشَهَادَةِ اللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْإِثْبَاتِ، الْوَاقِفِينَ مَعَ كَلَامِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَسُنَّةِ رَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ-(١). (*).

---

(١) «**معارج القبول بشرح سلم الوصول**» (١/ ١٢٨-١٢٩) لِلشَّيْخِ العَلَّامَةِ: حافظ بن أحمد حكمي رَحِمَهُ اللهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ مَعَارِجِ الْقَبُولِ» (الْمُحَاضَرَةُ ١٣)، الْخَمِيسُ ٢٣ مِنْ صَفَرٍ

*** خُطُورَةُ الْإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ تَعْطِيلًا وَتَأْوِيلًا:**

إِنَّ هُنَاكَ تَلَازُمًا وَطِيدًا بَيْنَ إِنْكَارِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَقْرِيرِ هَذَا التَّلَازُمِ(١): «لَمَّا كَانَ أَحَبُّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ حَمْدَهُ وَمَدْحَهُ، وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ؛ كَانَ إِنْكَارُهَا وَجَحْدُهَا أَعْظَمَ الْإِلْحَادِ وَالْكُفْرِ بِهِ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الشِّرْكِ؛ فَالْمُعَطِّلُ شَرٌّ مِنَ الْمُشْرِكِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي جَحْدُ صِفَاتِ الْمَلِكِ وَحَقِيقَةِ مُلْكِهِ، وَالطَّعْنُ فِي أَوْصَافِهِ هُوَ، وَالتَّشْرِيكُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الْمُلْكِ، فَالْمُعَطِّلُونَ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ بِالذَّاتِ؛ بَلْ كُلُّ شِرْكٍ فِي الْعَالَمِ فَأَصْلُهُ التَّعْطِيلُ؛ فَإِنَّهُ لَوْلَا تَعْطِيلُ كَمَالِهِ أَوْ بَعْضِهِ وَظَنُّ السَّوْءِ بِهِ لَمَا أَشْرَكَ بِهِ، كَمَا قَالَ إِمَامُ الْحُنَفَاءِ وَأَهْلِ التَّوْحِيدِ لِقَوْمِهِ: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات: ٨٦-٨٧].

أَيْ: فَمَا ظَنُّكُمْ بِهِ أَنْ يُجَازِيَكُمْ وَقَدْ عَبَدْتُمْ مَعَهُ غَيْرَهُ؟!!

وَمَا الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِهِ حَتَّىٰ جَعَلْتُمْ مَعَهُ شُرَكَاءَ؟!!

أَظَنَنْتُمْ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَىٰ الشُّرَكَاءِ وَالْأَعْوَانِ؟!!

أَمْ ظَنَنْتُمْ أَنَّهُ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ عِبَادِهِ حَتَّىٰ يَحْتَاجَ إِلَىٰ شُرَكَاءَ تُعَرِّفُهُ بِهَا كَالْمُلُوكِ؟!!

=

١٤٣٢هـ| ٢٧-١-٢٠١١م.

(١) «مدارج السالكين» (٤/ ٢٩٧-٢٩٨).

أَمْ ظَنَنْتُمْ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ وَحْدَهُ عَلَىٰ اسْتِقْلَالِهِ بِتَدْبِيرِهِمْ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ؟!!

أَمْ هُوَ قَاسٍ فَيَحْتَاجُ إِلَىٰ شُفَعَاءَ يَسْتَعْطِفُونَهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ؟!!

أَمْ ذَلِيلٌ فَيَحْتَاجُ إِلَىٰ وَلِيٍّ يَتَكَثَّرُ بِهِ مِنَ الْقِلَّةِ، وَيَتَعَزَّزُ بِهِ مِنَ الذِّلَّةِ؟!!

أَمْ يَحْتَاجُ إِلَىٰ الْوَلَدِ، فَيَتَّخِذُ صَاحِبَةً يَكُونُ الْوَلَدُ مِنْهَا وَمِنْهُ؟!!

تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ التَّعْطِيلَ مَبْدَأُ الشِّرْكِ وَأَسَاسُهُ، فَلَا تَجِدُ مُعَطِّلًا إِلَّا وَشِرْكُهُ عَلَىٰ حَسَبِ تَعْطِيلِهِ، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ». (*).

«**مِنْ أَعْظَمِ آفَاتِ التَّأْوِيلِ وَجِنَايَاتِهِ: أَنَّهُ إِذَا سُلِّطَ عَلَىٰ أُصُولِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ اجْتَثَّهَا وَقَلَعَهَا**؛ فَإِنَّ أُصُولَ الْإِيمَانِ خَمْسَةٌ؛ وَهِيَ: الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأُصُولَ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ؛ وَهِيَ كَلِمَةُ الشَّهَادَتَيْنِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، فَعَمَدَ أَرْبَابُ التَّأْوِيلِ إِلَىٰ أُصُولِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ فَهَدَمُوهَا بِالتَّأْوِيلِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْقِدَ هَذِهِ الْأُصُولِ الْعَشْرَةِ تَصْدِيقُ الرَّسُولِ فِيمَا أَخْبَرَ، وَطَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، فَعَمَدُوا إِلَىٰ أَجَلِّ الْأَخْبَارِ؛ وَهُوَ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَنُعُوتِ كَمَالِهِ، فَأَخْرَجُوهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ وَمَا وُضِعَ لَهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «الدَّعْوَةُ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» (كَلِمَةٌ لِإِخْوَانِنَا فِي لِيبْيَا) - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٩هـ| ٣٠-٣-٢٠١٨م.

وَهَذَا الْقِسْمُ مِنَ الْأَخْبَارِ أَشْرَفُ أَنْوَاعِ الْخَبَرِ، وَالْإِيمَانُ بِهِ أَصْلُ الْإِيمَانِ بِمَا عَدَاهُ، وَاشْتِمَالُ الْقُرْآنِ -بَلْ وَالْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ- عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنِ اشْتِمَالِهَا عَلَىٰ مَا عَدَاهُ، وَتَنَوُّعُ الدَّلَالَةِ بِهَا عَلَىٰ ثُبُوتِ مُخْبِرِهِ أَعْظَمُ مِنْ تَنَوُّعِهَا فِي غَيْرِهِ؛ وَذَلِكَ لِشَرَفِ مُتَعَلَّقِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، وَكَانَتِ الطُّرُقُ إِلَىٰ تَحْصِيلِ مَعْرِفَتِهِ أَكْثَرَ وَأَسْهَلَ وَأَبْيَنَ مِنْ غَيْرِهِ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ حِكْمَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَتَمَامِ نِعْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ؛ أَنَّهُ كُلَّمَا كَانَتْ حَاجَةُ الْعِبَادِ إِلَىٰ الشَّيْءِ أَقْوَىٰ وَأَتَمَّ كَانَ بَذْلُهُ لَهُمْ أَكْثَرَ، وَطُرُقُ وُصُولِهِمْ إِلَيْهِ أَكْثَرَ وَأَسْهَلَ، وَهَذَا فِي الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ؛ فَإِنَّ حَاجَتَهُمْ لَمَّا كَانَتْ إِلَىٰ الْهَوَاءِ أَكْثَرَ مِنَ الْمَاءِ وَالْقُوتِ؛ كَانَ مَوْجُودًا مَعَهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ، وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ لَمَّا كَانَتْ حَاجَتُهُمْ بَعْدَهُ إِلَىٰ الْمَاءِ شَدِيدَةً؛ إِذْ هُوَ مَادَّةُ أَقْوَاتِهِمْ وَلِبَاسِهِمْ وَفَوَاكِهِهِمْ وَشَرَابِهِمْ؛ كَانَ مَبْذُولًا لَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ حَاجَتُهُمْ إِلَىٰ الْقُوتِ لَمَّا كَانَتْ أَشَدَّ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَىٰ الْإِيوَاءِ؛ كَانَ وُجُودُ الْقُوتِ أَكْثَرَ، وَهَكَذَا الْأَمْرُ فِي مَرَاتِبِ الْحَاجَاتِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ حَاجَتَهُمْ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ رَبِّهِمْ وَفَاطِرِهِمْ وَمَعْبُودِهِمْ ﷻ فَوْقَ مَرَاتِبِ هَذِهِ الْحَاجَاتِ كُلِّهَا؛ فَإِنَّهُ لَا سَعَادَةَ لَهُمْ وَلَا فَلَاحَ وَلَا صَلَاحَ وَلَا نَعِيمَ إِلَّا بِأَنْ يَعْرِفُوهُ وَيَعْبُدُوهُ، وَيَكُونَ هُوَ وَحْدَهُ غَايَةَ مَطْلُوبِهِمْ، وَنِهَايَةَ مُرَادِهِمْ، وَذِكْرُهُ وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ قُرَّةَ عُيُونِهِمْ وَحَيَاةَ قُلُوبِهِمْ، فَمَتَىٰ فَقَدُوا ذَلِكَ كَانُوا أَسْوَأَ حَالًا مِنَ الْأَنْعَامِ بِكَثِيرٍ، وَكَانَتِ الْأَنْعَامُ أَطْيَبَ عَيْشًا مِنْهُمْ فِي الْعَاجِلِ، وَأَسْلَمَ عَاقِبَةً فِي الْآجِلِ.

وَإِذَا عُلِمَ أَنَّ ضَرُورَةَ الْعَبْدِ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ رَبِّهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ؛ كَانَتِ الطُّرُقُ الْمُعَرِّفَةُ لَهُمْ ذَلِكَ أَيْسَرَ طُرُقِ الْعِلْمِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ، وَأَسْهَلَهَا وَأَهْدَاهَا وَأَقْرَبَهَا، وَبَيَانُ الرَّبِّ -تَعَالَىٰ- لَهَا فَوْقَ كُلِّ بَيَانٍ»(١). (*).

(١) «الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة» (١/ ١٦١-١٦٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَصْلُ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ١٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٩هـ| ٣٠-٣-٢٠١٨م.

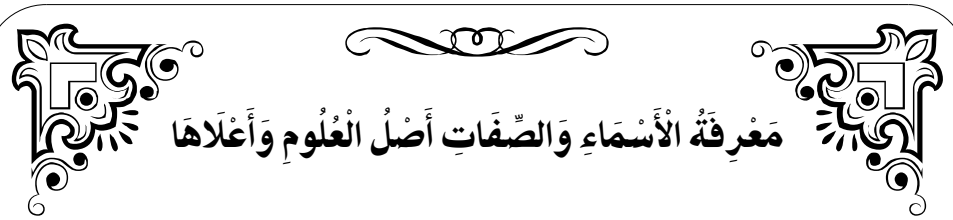

مَعْرِفَةُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ أَصْلُ الْعُلُومِ وَأَعْلَاهَا

«**أَفْضَلُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْحَالِ**: الْعِلْمُ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَالْعَمَلُ بِمَرْضَاتِهِ، وَانْجِذَابُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ؛ فَهَذَا أَشْرَفُ مَا فِي الدُّنْيَا، وَجَزَاؤُهُ أَشْرَفُ مَا فِي الْآخِرَةِ.

وَأَجَلُّ الْمَقَاصِدِ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَحَبَّتُهُ، وَالْأُنْسُ بِقُرْبِهِ، وَالشَّوْقُ إِلَىٰ لِقَائِهِ، وَالتَّنَعُّمُ بِذِكْرِهِ؛ وَهَذَا أَجَلُّ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا هُوَ الْغَايَةُ الَّتِي تُطْلَبُ لِذَاتِهَا.

وَإِنَّمَا يَشْعُرُ الْعَبْدُ تَمَامَ الشُّعُورِ بِأَنَّ ذَلِكَ عَيْنُ السَّعَادَةِ إِذَا انْكَشَفَ لَهُ الْغِطَاءُ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا وَدَخَلَ الْآخِرَةَ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي الدُّنْيَا -وَإِنْ شَعَرَ بِذَلِكَ بَعْضَ الشُّعُورِ- فَلَيْسَ شُعُورُهُ كَامِلًا لِلْمُعَارَضَاتِ الَّتِي عَلَيْهِ، وَالْمِحَنِ الَّتِي امْتُحِنَ بِهَا، وَإِلَّا فَلَيْسَتِ السَّعَادَةُ فِي الْحَقِيقَةِ سِوَىٰ ذَلِكَ.

وَكُلُّ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ تَبَعٌ لِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ، مُرَادَةٌ لِأَجْلِهَا، وَتَفَاوُتُ الْعُلُومِ فِي فَضْلِهَا بِحَسَبِ إِفْضَائِهَا إِلَىٰ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَبُعْدِهَا، فَكُلُّ عِلْمٍ كَانَ أَقْرَبَ إِفْضَاءً إِلَىٰ الْعِلْمِ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ فَهُوَ أَعْلَىٰ مِمَّا دُونَهُ، وَكَذَلِكَ حَالُ الْقَلْبِ؛ فَكُلُّ حَالٍ كَانَ أَقْرَبَ إِلَىٰ الْمَقْصُودِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ فَهُوَ أَشْرَفُ مِمَّا دُونَهُ، وَكَذَلِكَ الْأَعْمَالُ، فَكُلُّ عَمَلٍ كَانَ أَقْرَبَ إِلَىٰ تَحْصِيلِ هَذَا الْمَقْصُودِ كَانَ أَفْضَلَ

مِنْ غَيْرِهِ، وَلِهَذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ وَالْجِهَادُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ -أَوْ أَفْضَلَهَا- لِقُرْبِ إِفْضَائِهَا إِلَىٰ الْمَقْصُودِ.

وَهَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ؛ فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَانَ الشَّيْءُ أَقْرَبَ إِلَىٰ الْغَايَةِ كَانَ أَفْضَلَ مِنَ الْبَعِيدِ عَنْهَا، فَالْعَمَلُ الْمُعِدُّ لِلْقَلْبِ الْمُهَيِّئُ لَهُ لِمَعْرِفَةِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ؛ أَفْضَلُ مِمَّا لَيْسَ كَذَلِكَ.

وَإِذَا اشْتَرَكَتْ عِدَّةُ أَعْمَالٍ فِي هَذَا الْإِفْضَاءِ فَأَفْضَلُهَا أَقْرَبُهَا إِلَىٰ هَذَا الْمَقْصُودِ، وَلِهَذَا اشْتَرَكَتِ الطَّاعَاتُ فِي هَذَا الْإِفْضَاءِ فَكَانَتْ مَطْلُوبَةً لِلَّهِ، وَاشْتَرَكَتِ الْمَعَاصِي فِي حَجْبِ الْقَلْبِ وَقَطْعِهِ عَنْ هَذِهِ الْغَايَةِ فَكَانَتْ مَنْهِيًّا عَنْهَا، وَتَأْثِيرُ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي بِحَسَبِ دَرَجَاتِهَا»(١). (*).

«**إِنَّ مَعْرِفَةَ اللهِ وَمَعْرِفَةَ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا هِيَ غَايَةُ مَطَالِبِ الْبَرِيَّةِ، وَهِيَ أَفْضَلُ الْعُلُومِ وَأَعْلَاهَا، وَأَشْرَفُهَا وَأَسْمَاهَا**، وَهِيَ الْغَايَةُ الَّتِي شَمَّرَ إِلَيْهَا الْمُشَمِّرُونَ، وَتَنَافَسَ فِيهَا الْمُتَنَافِسُونَ، وَجَرَىٰ إِلَيْهَا الْمُتَسَابِقُونَ، وَإِلَىٰ نَحْوِهَا تَمْتَدُّ الْأَعْنَاقُ، وَإِلَيْهَا تَتَّجِهُ الْقُلُوبُ الصَّحِيحَةُ بِالْأَشْوَاقِ، وَبِهَا يَتَحَقَّقُ لِلْعَبْدِ طِيبُ الْحَيَاةِ؛ «فَإِنَّ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ بِحَيَاةِ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ، وَلَا حَيَاةَ لِقَلْبِهِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ فَاطِرِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ بِذِكْرِهِ، وَالْأُنْسِ بِقُرْبِهِ، وَمَنْ فَقَدَ هَذِهِ الْحَيَاةَ فَقَدَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَوْ تَعَوَّضَ عَنْهَا بِمَا تَعَوَّضَ مِنَ

---

(١) «**عدة الصابرين**»: (ص٢١٥-٢١٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ أَصْلُ الْعِلْمِ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ| ١٦-٥-٢٠١٤م.

الدُّنْيَا؛ بَلْ لَيْسَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا عِوَضًا عَنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ؛ فَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَفُوتُ عِوَضٌ، وَإِذَا فَاتَهُ اللهُ لَمْ يُعَوِّضْ عَنْهُ شَيْءٌ الْبَتَّةَ»(١)»(٢).

«إِنَّ الْعِلْمَ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ هُوَ أَشْرَفُ العُلُومِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ مَطْلُوبٌ لِنَفْسِهِ، مُرَادٌ لِذَاتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

فَقَدْ أَخْبَرَ -سُبْحَانَهُ- أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَنَزَّلَ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ؛ لِيَعْلَمَ عِبَادُهُ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَهَذَا الْعِلْمُ هُوَ غَايَةُ الْخَلْقِ الْمَطْلُوبَةُ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

فَالْعِلْمُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ -تَعَالَىٰ- وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَطْلُوبٌ لِذَاتِهِ؛ وَإِنْ كَانَ لَا يُكْتَفَىٰ بِهِ وَحْدَهُ، بَلْ لَا بُدَّ مَعَهُ مِنْ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَهُمَا أَمْرَانِ مَطْلُوبَانِ لِأَنْفُسِهِمَا:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَعْرِفَ الرَّبَّ -تَعَالَىٰ- بِأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَأَحْكَامِهِ.

وَالْأَمْرُ الثَّانِي: أَنْ يَعْبُدَ اللهَ بِمُوجِبِهَا وَمُقْتَضَاهَا»(٣).

---

(١) «الداء والدواء» (ص: ٨٤).

(٢) «فقه الأسماء الحسنىٰ» (ص: ١٥).

(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٥١١-٥١٢).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «إِنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ تَابِعٌ لِشَرَفِ مَعْلُومِهِ؛ لِوُثُوقِ النَّفْسِ بِأَدِلَّةِ وُجُودِهِ وَبَرَاهِينِهِ، وَلِشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، وَعِظَمِ النَّفْعِ بِهَا، وَلَا رَيْبَ أَنَّ أَجَلَّ مَعْلُومٍ وَأَعْظَمَهُ وَأَكْبَرَهُ فَهُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَقَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ، الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، الْمَوْصُوفُ بِالْكَمَالِ كُلِّهِ، الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، وَعَنْ كُلِّ تَمْثِيلٍ وَتَشْبِيهٍ فِي كَمَالِهِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْعِلْمَ بِهِ وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ أَجَلُّ الْعُلُومِ وَأَفْضَلُهَا، وَنِسْبَتُهُ إِلَىٰ سَائِرِ الْعُلُومِ كَنِسْبَةِ مَعْلُومَةٍ إِلَىٰ سَائِرِ الْمَعْلُومَاتِ.

وَكَمَا أَنَّ الْعِلْمَ بِهِ أَجَلُّ الْعُلُومِ وَأَشْرَفُهَا فَهُوَ أَصْلُهَا كُلِّهَا، كَمَا أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ فَهُوَ مُسْتَنِدٌ فِي وُجُودِهِ إِلَىٰ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَمُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ فِي تَحَقُّقِ ذَاتِهِ وَأَيْنِيَّتِهِ، وَكُلُّ عِلْمٍ فَهُوَ تَابِعٌ لِلْعِلْمِ بِهِ، مُفْتَقِرٌ فِي تَحَقُّقِ ذَاتِهِ إِلَيْهِ؛ فَالْعِلْمُ بِهِ أَصْلُ كُلِّ عِلْمٍ، كَمَا أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَمُوجِدُهُ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ كَمَالَ الْعِلْمِ بِالسَّبَبِ التَّامِّ، وَكَوْنِهِ سَبَبًا يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِمُسَبِّبِهِ، كَمَا أَنَّ الْعِلْمَ بِالْعِلَّةِ التَّامَّةِ، وَمَعْرِفَةِ كَوْنِهَا عِلَّةً يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِمَعْلُولِهِ، وَكُلُّ مَوْجُودٍ سِوَىٰ اللهِ فَهُوَ مُسْتَنِدٌ فِي وُجُودِهِ إِلَيْهِ اسْتِنَادَ الْمَصْنُوعِ إِلَىٰ صَانِعِهِ، وَاسْتِنَادِ الْمَفْعُولِ إِلَىٰ فَاعِلِهِ؛ فَالْعِلْمُ بِذَاتِهِ -سُبْحَانَهُ- وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِمَا سِوَاهُ، فَهُوَ فِي ذَاتِهِ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، وَالْعِلْمُ بِهِ أَصْلُ كُلِّ عِلْمٍ وَمَنْشَأُهُ؛ فَمَنْ عَرَفَ اللهَ عَرَفَ مَا سِوَاهُ، وَمَنْ جَهِلَ رَبَّهُ فَهُوَ لِمَا سِوَاهُ أَجْهَلُ.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩].

فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْآيَةَ تَجِدْ تَحْتَهَا مَعْنًىٰ شَرِيفًا عَظِيمًا؛ وَهُوَ: أَنَّ مَنْ نَسِيَ رَبَّهُ أَنْسَاهُ ذَاتَهُ وَنَفْسَهُ، فَلَمْ يَعْرِفْ حَقِيقَتَهُ وَلَا مَصَالِحَهُ، بَلْ نَسِيَ مَا بِهِ صَلَاحُهُ وَفَلَاحُهُ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَصَارَ مُعَطَّلًا مُهْمَلًا بِمَنْزِلَةِ الْأَنْعَامِ السَّائِبَةِ؛ بَلْ رُبَّمَا كَانَتِ الْأَنْعَامُ أَخْبَرَ بِمَصَالِحِهَا مِنْهُ؛ لِبَقَائِهَا هُدَاهَا الَّذِي أَعْطَاهَا إِيَّاهُ خَالِقُهَا، وَأَمَّا هَذَا فَخَرَجَ عَنْ فِطْرَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، فَنَسِيَ رَبَّهُ فَأَنْسَاهُ نَفْسَهُ وَصِفَاتِهَا، وَمَا تَكْمُلُ بِهِ، وَتَزْكُو بِهِ، وَتَسْعَدُ بِهِ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

فَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ فَانْفَرَطَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَقَلْبُهُ، فَلَا الْتِفَاتَ لَهُ إِلَىٰ مَصَالِحِهِ وَكَمَالِهِ وَمَا تَزْكُو بِهِ نَفْسُهُ وَقَلْبُهُ، بَلْ هُوَ مُشَتَّتُ الْقَلْبِ مُضَيَّعُهُ، مُفْرَطُ الْأَمْرِ، حَيْرَانُ لَا يَهْتَدِي سَبِيلًا!

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْعِلْمَ بِاللهِ أَصْلُ كُلِّ عِلْمٍ، وَهُوَ أَصْلُ عِلْمِ الْعَبْدِ بِسَعَادَتِهِ وَكَمَالِهِ وَمَصَالِحِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَالْجَهْلُ بِهِ مُسْتَلْزِمٌ لِلْجَهْلِ بِنَفْسِهِ وَمَصَالِحِهَا وَكَمَالِهَا، وَمَا تَزْكُو بِهِ، وَتُفْلِحُ بِهِ؛ فَالْعِلْمُ بِهِ سَعَادَةُ الْعَبْدِ، وَالْجَهْلُ بِهِ أَصْلُ شَقَاوَتِهِ». (*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «أَصْلُ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ١٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٩هـ| ٣٠-٣-٢٠١٨م.

مَعْرِفَةُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ هِيَ الطَّرِيقُ لِمَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَعْرِفَتُهُ طَرِيقُ عِبَادَتِهِ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ، وَالْعَبْدُ يُحِبُّ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ يَتَعَامَلُ مَعَهُ، وَاللهُ الَّذِي خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَنَحْنُ نَرْجُو رَحْمَتَهُ وَنَخَافُ مِنْ سَخَطِهِ أَوْلَىٰ أَنْ نَعْرِفَ أَسْمَاءَهُ، وَنَعْرِفَ تَفْسِيرَهَا، فَلَا تَسْتَقِرُّ لِلْعَبْدِ قَدَمٌ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- إِلَّا بِالتَّعَرُّفِ عَلَىٰ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؛ فَالْعِلْمُ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ يَفْتَحُ لِلْعَبْدِ هَذَا الْبَابَ الْعَظِيمَ، فَاللهُ جَلَّوَعَلَا لَمْ يَجْعَلِ السَّبِيلَ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ مِنْ طَرِيقِ الِاطِّلَاعِ عَلَىٰ ذَاتِهِ، فَهَذَا الْبَابُ مُوصَدٌ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، كَمَا أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ حَيْثُ قَالَ -كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[(١)]، مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ حَتَّىٰ يَمُوتَ**».(*).

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ[(٣)]: «مَنْ أَرَادَ عُلُوَّ بُنْيَانِهِ فَعَلَيهِ بِتَوْثِيقِ أَسَاسِهِ وَإِحْكَامِهِ، وَشِدَّةِ الِاعْتِنَاءِ بِهِ؛ فَإِنَّ عُلُوَّ الْبُنْيَانِ عَلَىٰ قَدْرِ تَوْثِيقِ الْأَسَاسِ وَإِحْكَامِهِ، فَالْأَعْمَالُ وَالدَّرَجَاتُ بُنْيَانٌ، وَأَسَاسُهَا الْإِيمَانُ، وَمَتَىٰ كَانَ الْأَسَاسُ وَثِيقًا حَمَلَ الْبُنْيَانَ وَاعْتَلَىٰ عَلَيْهِ، وَإِذَا تَهَدَّمَ شَيْءٌ مِنَ الْبُنْيَانِ سَهُلَ تَدَارُكُهُ، وَإِذَا كَانَ الْأَسَاسُ غَيْرَ وَثِيقٍ لَمْ يَرْتَفِعِ الْبُنْيَانُ وَلَمْ يَثْبُتْ، وَإِذَا تَهَدَّمَ شَيْءٌ مِنَ الْأَسَاسِ سَقَطَ الْبُنْيَانُ أَوْ كَادَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٥٧)، ومسلم (١٦٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «الدَّعْوَةُ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» (كَلِمَةٌ لِإِخْوَانِنَا فِي لِيبِيَا) - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٩هـ| ٣٠-٣-٢٠١٨م.

(٣) «**الفوائد**» (١/ ٢٢٨-٢٢٩).

فَالْعَارِفُ هِمَّتُهُ تَصْحِيحُ الْأَسَاسِ وَإِحْكَامُهُ، وَالْجَاهِلُ يَرْفَعُ فِي الْبِنَاءِ مِنْ غَيْرِ أَسَاسٍ، فَلَا يَلْبَثُ بُنْيَانُهُ أَنْ يَسْقُطَ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

فَالْأَسَاسُ لِبِنَاءِ الْأَعْمَالِ كَالْقُوَّةِ لِبَدَنِ الْإِنْسَانِ، فَإِذَا كَانَتِ الْقُوَّةُ قَوِيَّةً حَمَلَتِ الْبَدَنَ، وَدَفَعَتْ عَنْهُ كَثِيرًا مِنَ الْآفَاتِ، وَإِذَا كَانَتِ الْقُوَّةُ ضَعِيفَةً ضَعُفَ حَمْلُهَا لِلْبَدَنِ، وَكَانَتِ الْآفَاتُ إِلَيْهِ أَسْرَعَ شَيْءٍ.

فَاحْمِلْ بُنْيَانَكَ عَلَىٰ قُوَّةِ أَسَاسِ الْإِيمَانِ، فَإِذَا تَشَعَّثَ شَيْءٌ مِنْ أَعَالِي الْبِنَاءِ وَسَطْحِهِ كَانَ تَدَارُكُهُ أَسْهَلَ عَلَيْكَ مِنْ خَرَابِ الْأَسَاسِ.

وَهَذَا الْأَسَاسُ أَمْرَانِ:

- الْأَوَّلُ: صِحَّةُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ وَأَمْرِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

- وَالثَّانِي: تَجْرِيدُ الِانْقِيَادِ لَهُ وَلِرَسُولِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ.

فَهَذَا أَوْثَقُ أَسَاسٍ أَسَّسَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ بُنْيَانَهُ، وَبِحَسَبِهِ يَعْتَلِي الْبِنَاءُ مَا شَاءَ». (*).

الْعِلْمُ بِأَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَصِفَاتِهِ أَصْلُ الْعُلُومِ، وَأَسَاسُ الْإِيمَانِ، وَأَوَّلُ الْوَاجِبَاتِ، فَإِذَا عَلِمَ النَّاسُ رَبَّهُمْ عَبَدُوهُ، وَلَمْ يَسْتَقِرَّ لِلْعَبْدِ قَدَمٌ فِي الْمَعْرِفَةِ حِينَئِذٍ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَصْلُ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ١٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٩هـ| ٣٠-٣-٢٠١٨م.

-بَلَ وَلَا فِي الْإِيمَانِ- حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِصِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّوَعَلَا، وَيَعْرِفَهَا مَعْرِفَةً تُخْرِجُهُ عَنْ حَدِّ الْجَهْلِ بِرَبِّهِ.

فَالْإِيمَانُ بِالصِّفَاتِ وَتَعَرُّفُهَا هُوَ أَسَاسُ الْإِسْلَامِ، وَقَاعِدَةُ الْإِيمَانِ، وَثَمَرَةُ شَجَرَةِ الْإِحْسَانِ.

فَمَنْ جَحَدَ الصِّفَاتِ فَقَدْ هَدَمَ أَسَاسَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، وَقَطَعَ ثَمَرَةَ شَجَرَةِ الْإِحْسَانِ؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِرْفَانِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «الدَّعْوَةُ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» (كَلِمَةٌ لِإِخْوَانِنَا فِي لِيبِيَا) - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٩هـ| ٣٠-٣-٢٠١٨م.

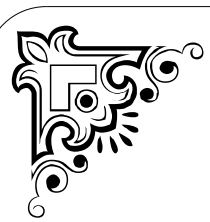

مَعْنَى التَّعَبُّدِ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ

عِبَادَ اللهِ! لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْمُثْلَىٰ، وَلَا بُدَّ مِنَ التَّعَبُّدِ بِأَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَصِفَاتِهِ.

«وَالْمَقْصُودُ بِالتَّعَبُّدِ بِأَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَصِفَاتِهِ: تَحْقِيقُ الْعِلْمِ بِهَا ابْتِدَاءً، وَفِقْهُ مَعَانِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَنْ يَعْمَلَ بِهَا، فَيَتَّصِفَ بِالصِّفَاتِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ -تَعَالَىٰ-؛ كَالْعِلْمِ، وَالْعَدْلِ، وَالصَّبْرِ، وَالرَّحْمَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَيَنْتَهِي عَنِ الصِّفَاتِ الَّتِي يَكْرَهُهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنْ عَبِيدِهِ، مِمَّا يُنَافِي عُبُودِيَّتَهُمْ لَهُ -تَعَالَىٰ-؛ كَالصِّفَاتِ الَّتِي لَا يَصِحُّ لِلْمَخْلُوقِ أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا؛ كَالْكِبْرِ، وَالْعَظَمَةِ، وَالْجَبَرُوتِ، فَيَجِبُ عَلَىٰ الْعَبْدِ إِزَاءَهَا الْإِقْرَارُ بِهَا، وَالْخُضُوعُ لَهَا.

وَمِنَ الْعَمَلِ بِهَا: أَنْ يَدْعُوَ اللهَ -تَعَالَىٰ- بِهَا، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

كَمَا أَنَّ مِنَ الْعَمَلِ بِهَا: تَعْظِيمَهَا وَإِجْلَالَهَا، وَتَحْقِيقَ مَا تَقْتَضِيهِ مِنْ فِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ، وَتَرْكِ الْمَحْظُورَاتِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ[1]: «إِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَصِفَاتِهِ مَا يُحْمَدُ

(١) «الصفدية» (٢/ ٣٣٨).

الْعَبْدُ عَلَىٰ الِاتِّصَافِ بِهِ؛ كَالْعِلْمِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْحِكْمَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمِنْهَا مَا يُذَمُّ الْعَبْدُ عَلَىٰ الِاتِّصَافِ بِهِ؛ كَالْإِلَهِيَّةِ، وَالتَّجَبُّرِ، وَالتَّكَبُّرِ، وَلِلْعَبْدِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي يُحْمَدُ عَلَيْهَا وَيُؤْمَرُ بِهَا مَا يَمْنَعُ اتِّصَافَ الرَّبِّ بِهِ؛ كَالْعُبُودِيَّةِ، وَالِافْتِقَارِ وَالْحَاجَةِ، وَالذُّلِّ، وَالسُّؤَالِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ».

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ(١): «لَمَّا كَانَ -سُبْحَانَهُ- يُحِبُّ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ كَانَ أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ مَنِ اتَّصَفَ بِالصِّفَاتِ الَّتِي يُحِبُّهَا، وَأَبْغَضُهُمْ إِلَيْهِ مَنِ اتَّصَفَ بِالصِّفَاتِ الَّتِي يَكْرَهُهَا، فَإِنَّمَا أَبْغَضَ مَنِ اتَّصَفَ بِالْكِبْرِ وَالْعَظَمَةِ وَالْجَبَرُوتِ؛ لِأَنَّ اتِّصَافَهُ بِهَا ظُلْمٌ؛ إِذْ لَا تَلِيقُ بِهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ وَلَا تَحْسُنُ مِنْهُ؛ لِمُنَافَاتِهَا لِصِفَاتِ الْعَبِيدِ، وَخُرُوجِ مَنِ اتَّصَفَ بِهَا مِنْ رِبْقَةِ الْعُبُودِيَّةِ، وَمُفَارَقَتِهِ لِمَنْصِبِهِ وَمَرْتَبَتِهِ، وَتَعَدِّيهِ طَوْرَهُ وَحَدَّهُ، وَهَذَا خِلَافُ صِفَاتِ الْعِلْمِ، وَالْعَدْلِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْإِحْسَانِ، وَالصَّبْرِ، وَالشُّكْرِ؛ فَإِنَّهَا لَا تُنَافِي الْعُبُودِيَّةَ، بَلِ اتِّصَافُ الْعَبْدِ بِهَا مِنْ كَمَالِ عُبُودِيَّتِهِ؛ إِذِ الْمُتَّصِفُ بِهَا مِنَ الْعَبِيدِ لَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ، وَلَمْ يَخْرُجْ بِهَا مِنْ دَائِرَةِ الْعُبُودِيَّةِ»(٢).(*).

❊❊❊

---

(١) «**طريق الهجرتين**» (ص: ١٢٩).

(٢) مقال بعنوان: «أسماء الله الحسنىٰ الفقه والآثار».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «أَصْلُ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ١٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٩هـ| ٣٠-٣-٢٠١٨م.

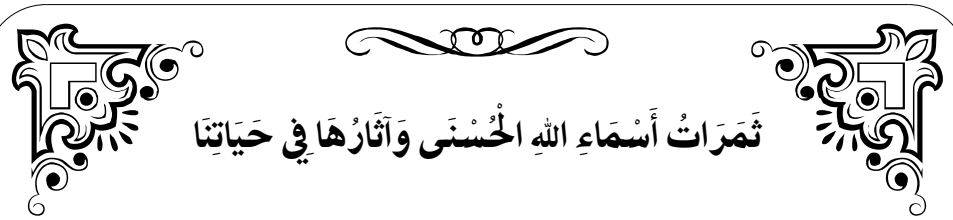

ثَمَرَاتُ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى وَآثَارُهَا فِي حَيَاتِنَا

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْإِيمَانَ بِأَسْمَاءِ اللهِ ﷻ وَصِفَاتِهِ وَمَعْرِفَتَهَا لَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْآثَارِ الطَّيِّبَةِ وَالثَّمَرَاتِ الْعَظِيمَةِ لِلْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَهْمُ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى، وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا لَهُ عَظِيمُ الْأَثَرِ فِي حَيَاتِنَا، فَبِذَلِكَ الْفَهْمِ تَعْرِفُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَقَّ الْمَعْرِفَةِ.

وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَى- غَفُورٌ رَحِيمٌ، عَفُوٌّ كَرِيمٌ، وَدُودٌ كَرِيمٌ؛ ازْدَادَ رَجَاؤُهُ فِي رَبِّهِ، وَإِقْبَالُهُ عَلَيْهِ، وَعَظُمَ ابْتِهَالُهُ إِلَيْهِ.

فَاعْلَمْ أَنَّ مَعْرِفَةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مُثْمِرَةٌ لِجَمِيعِ الْخَيْرَاتِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَمَعْرِفَةَ كُلِّ صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ تُثْمِرُ حَالًا عَلِيَّةً، وَأَقْوَالًا سَنِيَّةً، وَأَفْعَالًا رَضِيَّةً، وَمَرَاتِبَ دُنْيَوِيَّةً، وَدَرَجَاتٍ أُخْرَوِيَّةً.

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(١): «وَهَذَا فَصْلٌ عَظِيمُ النَّفْعِ وَالْحَاجَةِ؛ بَلِ الضَّرُورَةُ مَاسَّةٌ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، وَالْعِنَايَةِ بِهِ مَعْرِفَةً وَاتِّصَافًا، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ كَمَالُ الْعَبْدِ، وَبِهِ تَرْتَفِعُ دَرَجَاتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالْإِيمَانُ أَعْظَمُ الْمَطَالِبِ وَأَهَمُّهَا وَأَعَمُّهَا، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُ مَوَادَّ كَبِيرَةً

---

(١) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (ص: ٧١-٧٢).

تُجَلِّيهِ وَتُقَوِّيهِ، كَمَا كَانَ لَهُ أَسْبَابٌ تُضْعِفُهُ وَتُوهِيهِ.

وَأَعْظَمُهَا: مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْحِرْصُ عَلَىٰ فَهْمِ مَعَانِيهَا، وَالتَّعَبُّدُ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- بِهَا؛ فَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١) عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسعِينَ اسْمًا؛ مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**» أَيْ: مَنْ حَفِظَهَا، وَفَهِمَ مَعَانِيَهَا، وَاعْتَقَدَهَا، وَتَعَبَّدَ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- بِهَا؛ «دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وَالْجَنَّةُ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ؛ فَعُلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ يَنْبُوعٍ وَمَادَّةٍ لِحُصُولِ الْإِيمَانِ وَقُوَّتِهِ وَثَبَاتِهِ.

وَمَعْرِفَةُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ هِيَ أَصْلُ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ يَرْجِعُ إِلَيْهَا.

وَمَعْرِفَتُهَا تَتَضَمَّنُ أَنْوَاعَ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةَ: تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ، وَتَوْحِيدَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ هِيَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَرَوْحُهُ، وَأَصْلُهُ وَغَايَتُهُ، فَكُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ مَعْرِفَةً بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ؛ ازْدَادَ إِيمَانُهُ، وَقَوِيَ يَقِينُهُ.

فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْذُلَ مَقْدُورَهُ وَمُسْتَطَاعَهُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ». (*).

قَالَ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ(٣): «الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتُ الْعُلَىٰ مُقْتَضِيَةٌ لِآثَارِهَا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَالْأَمْرِ اقْتِضَاءَهَا لِآثَارِهَا مِنَ الْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ، فَلِكُلٍّ

---

(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أَصْلُ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ١٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٩هـ| ٣٠-٣-٢٠١٨م.

(٣) «مفتاح دار السعادة»: (٢/ ١٠٨٥-١٠٨٩).

عُبُودِيَّةٌ خَاصَّةٌ هِيَ مِنْ مُوجِبَاتِهَا وَمُقْتَضَيَاتِهَا -أَعْنِي مِنْ مُوجِبَاتِ الْعِلْمِ بِهَا وَالتَّحَقُّقِ بِمَعْرِفَتِهَا-، وَهَذَا مُطَّرِدٌ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ الَّتِي عَلَىٰ الْقَلبِ وَالْجَوَارِحِ.

* فَعِلْمُ الْعَبْدِ بِتَفَرُّدِ الرَّبِّ -تَعَالَىٰ- بِالضُّرِّ وَالنَّفْعِ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ، وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ؛ يُثْمِرُ لَهُ عُبُودِيَّةَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ بَاطِنًا، وَلَوَازِمَ التَّوَكُّلِ وَثَمَرَاتِهِ ظَاهِرًا.

* وَعِلْمُهُ بِسَمْعِهِ -تَعَالَىٰ- وَبَصَرِهِ وَعِلْمِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ، وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ؛ يُثْمِرُ لَهُ حِفْظَ لِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ وَخَطَرَاتِ قَلْبِهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يُرْضِي اللهَ، وَأَنْ يَجْعَلَ تَعَلُّقَ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ بِمَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ؛ فَيُثْمِرُ لَهُ ذَلِكَ الْحَيَاءَ بَاطِنًا، وَيُثْمِرُ لَهُ الْحَيَاءُ اجْتِنَابَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْقَبَائِحِ.

وَمَعْرِفَتُهُ بِغِنَاهُ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَبِرِّهِ وَإِحْسَانِهِ، وَرَحْمَتِهِ؛ تُوجِبُ لَهُ سَعَةَ الرَّجَاءِ، وَيُثْمِرُ لَهُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ بِحَسَبِ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ.

* وَكَذَلِكَ مَعْرِفَتُهُ بِجَلَالِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ وَعِزَّتِهِ تُثْمِرُ لَهُ الْخُضُوعَ وَالِاسْتِكَانَةَ وَالْمَحَبَّةَ، وَتُثْمِرُ لَهُ تِلْكَ الْأَحْوَالُ الْبَاطِنَةُ أَنْوَاعًا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ الظَّاهِرَةِ؛ هِيَ مُوجِبَاتُهَا.

* وَكَذَلِكَ عِلْمُهُ بِكَمَالِهِ وَجَمَالِهِ وَصِفَاتِهِ الْعُلَىٰ يُوجِبُ لَهُ مَحَبَّةً خَاصَّةً تُثْمِرُ لَهُ أَنْوَاعَ الْعُبُودِيَّةِ، فَرَجَعَتِ الْعُبُودِيَّةُ كُلُّهَا إِلَىٰ مُقْتَضَىٰ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَارْتَبَطَتْ بِهَا ارْتِبَاطَ الْخَلْقِ، فَخَلْقُهُ -سُبْحَانَهُ- وَأَمْرُهُ هُوَ مُوجَبُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فِي الْعَالَمِ وَآثَارُهَا وَمُقْتَضَاهَا، لَا أَنَّهُ يَتَزَيَّنُ مِنْ عِبَادِهِ بِطَاعَتِهِمْ، وَلَا يَشِينُهُ مَعْصِيَتُهُمْ.

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ[1] الَّذِي يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **«يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي»**.

ذَكَرَ هَذَا عَقِبَ قَوْلِهِ: **«يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»**.

فَتَضَمَّنَ ذَلِكَ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ -تَعَالَىٰ- بِهِمْ مِنْ غُفْرَانِ زَلَّاتِهِمْ، وَإِجَابَةِ دَعَوَاتِهِمْ، وَتَفْرِيجِ كُرُبَاتِهِمْ؛ لَيْسَ لِجَلْبِ مَنْفَعَةٍ مِنْهُمْ، وَلَا لِدَفْعِ مَضَرَّةٍ يَتَوَقَّعُهَا مِنْهُمْ، كَمَا هُوَ عَادَةُ الْمَخْلُوقِ الَّذِي يَنْفَعُ غَيْرَهُ لِيُكَافِئَهُ بِنَفْعٍ مِثْلِهِ، أَوْ لِيَدْفَعَ عَنْهُ ضَرَرًا.

فَالرَّبُّ -تَعَالَىٰ- لَمْ يُحْسِنْ إِلَىٰ عِبَادِهِ لِيُكَافِئُوهُ، وَلَا لِيَدْفَعُوا عَنْهُ ضَرَرًا؛ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: **«لَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي»**، إِنِّي لَسْتُ إِذَا هَدَيْتُ مُسْتَهْدِيَكُمْ، وَأَطْعَمْتُ مُسْتَطْعِمَكُمْ، وَكَسَوْتُ مُسْتَكْسِيَكُمْ، وَأَرْوَيْتُ مُسْتَسْقِيَكُمْ، وَكَفَيْتُ مُسْتَكْفِيَكُمْ، وَغَفَرْتُ لِمُسْتَغْفِرِكُمْ، بِالَّذِي أَطْلُبُ مِنْكُمْ أَنْ تَنْفَعُونِي أَوْ تَدْفَعُوا عَنِّي ضَرَرًا؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ذَلِكَ وَأَنَا الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، كَيفَ وَالْخَلْقُ عَاجِزُونَ عَمَّا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَفْعَالِ إِلَّا بِإِقْدَارِهِ وَتَيْسِيرِهِ وَخَلْقِهِ، فَكَيْفَ بِمَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ؟!!

فَكَيْفَ يَبْلُغُونَ نَفْعَ الْغَنِيِّ الصَّمَدِ الَّذِي يَمْتَنِعُ فِي حَقِّهِ أَنْ يَسْتَجْلِبَ مِنْ غَيْرِهِ نَفْعًا أَوْ يَسْتَدْفِعَ مِنْهُ ضَرَرًا، بَلْ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّهِ؟!!

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ هَذَا قَوْلَهُ: **«يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ**

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/ ١٩٩٤-١٩٩٥، رقم ٢٥٧٧)، من حديث: أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه.

كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ؛ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا».

فَبَيَّنَ -سُبْحَانَهُ- أَنَّ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ؛ لَا يَتَضَمَّنُ اسْتِجْلَابَ نَفْعِهِمْ، وَلَا اسْتِدْفَاعَ ضَرَرِهِمْ، كَأَمْرِ السَّيِّدِ عَبْدَهُ وَالْوَالِدِ وَلَدَهُ وَالْإِمَامِ رَعِيَّتَهُ؛ بِمَا يَنْفَعُ الْآمِرَ وَالْمَأْمُورَ، وَنَهْيِهِمْ عَمَّا يَضُرُّ النَّاهِيَ وَالْمَنْهِيَّ.

فَبَيَّنَ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ الْمُنَزَّهُ عَنْ لُحُوقِ نَفْعِهِمْ وَضَرِّهِمْ بِهِ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ بِمَا يَفْعَلُهُ بِهِمْ وَبِمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَلِهَذَا لَمَّا ذَكَرَ الْأَصْلَيْنِ بَعْدَ هَذَا وَأَنَّ تَقْوَاهُمْ وَفُجُورَهُمُ الَّذِي هُوَ طَاعَتُهُمْ وَمَعْصِيَتُهُمْ؛ لَا يَزِيدُ فِي مُلْكِهِ شَيْئًا وَلَا يَنْقُصُهُ، وَأَنَّ نِسْبَةَ مَا يَسْأَلُونَهُ كُلُّهُمْ إِيَّاهُ؛ فَيُعْطِيهِمْ إِلَىٰ مَا عِنْدَهُ كَلَا نِسْبَةٍ.

فَتَضَمَّنَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُمْ وَلَمْ يُحْسِنْ إِلَيْهِمْ بِإِجَابَةِ الدَّعْوَاتِ، وَغُفْرَانِ الزَّلَّاتِ، وَتَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ لِاسْتِجْلَابِ مَنْفَعَةٍ وَلَا لِاسْتِدْفَاعِ مَضَرَّةٍ، وَأَنَّهُمْ لَوْ أَطَاعُوهُ كُلُّهُمْ لَمْ يَزِيدُوا فِي مُلْكِهِ شَيْئًا، وَلَوْ عَصَوْهُ كُلُّهُمْ لَمْ يَنْقُصُوا مِنْ مُلْكِهِ شَيْئًا، وَأَنَّهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ.

وَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَإِنَّهُ لَا يَتَزَيَّنُ بِطَاعَةِ عِبَادِهِ، وَلَا تَشِينُهُ مَعَاصِيهِمْ، وَلَكِنْ لَهُ مِنَ الْحِكَمِ الْبَوَالِغِ فِي تَكْلِيفِ عِبَادِهِ وَأَمْرِهِمْ وَنَهْيِهِمْ مَا يَقْتَضِيهِ مُلْكُهُ التَّامُّ وَحَمْدُهُ وَحِكْمَتُهُ.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَوْجِبُ مِنْ عِبَادِهِ شُكْرَ نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَىٰ بِحَسَبِ قُوَاهُمْ وَطَاقَاتِهِمْ لَا بِحَسَبِ مَا يَنْبَغِي لَهُ؛ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَقْدِرَ

خَلْقُهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- يَرْضَىٰ مِنْ عِبَادِهِ بِمَا تَسْمَحُ بِهِ طَبَائِعُهُمْ وَقُوَاهُمْ، فَلَا شَيْءَ أَحْسَنُ فِي الْعُقُولِ وَالْفِطَرِ مِنْ شُكْرِ الْمُنْعِمِ، وَلَا أَنْفَعُ لِلْعَبْدِ مِنْهُ.

فَهَذَانِ مَسْلَكَانِ فِي حُسْنِ التَّكْلِيفِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ:

أَحَدُهُمَا: يَتَعَلَّقُ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَنَّهُ أَهْلٌ لِذَلِكَ، وَأَنَّ جَمَالَهُ -تَعَالَىٰ- وَكَمَالَهُ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ تَقْتَضِي مِنْ عِبَادِهِ غَايَةَ الْحُبِّ وَالذُّلِّ وَالطَّاعَةِ لَهُ.

وَالثَّانِي: مُتَعَلِّقٌ بِإِحْسَانِهِ وَإِنْعَامِهِ، لَا سِيَّمَا مَعَ غِنَاهُ عَنْ عِبَادِهِ وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ؛ رَحْمَةً مِنْهُ وَجُودًا وَكَرَمًا، لَا لِمُعَاوَضَةٍ وَلَا لِاسْتِجْلَابِ مَنْفَعَةٍ وَلَا لِدَفْعِ مَضَرَّةٍ، وَأَيُّ الْمَسْلَكَيْنِ سَلَكَهُ الْعَبْدُ أَوْقَفَهُ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ وَبَذْلِ الْجُهْدِ فِي مَرْضَاتِهِ».

«**وَالْعَبْدُ إِذَا فَتَحَ اللهُ لِقَلْبِهِ شُهُودَ أَوَّلِيَّتِهِ -سُبْحَانَهُ-**: حَيْثُ كَانَ وَلَا شَيْءَ غَيْرُهُ، وَهُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ الْكَامِلُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ عَمَّا سِوَاهُ، الْحَمِيدُ الْمَجِيدُ بِذَاتِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ مَنْ يَحْمَدُهُ وَيَعْبُدُهُ وَيُمَجِّدُهُ، فَهُوَ مَعْبُودٌ مَحْمُودٌ، حَيٌّ قَيُّومٌ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَوْصُوفًا بِصِفَاتِ الْجَلَالِ، مَنْعُوتًا بِنُعُوتِ الْكَمَالِ، وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ فَإِنَّمَا كَانَ بِهِ، وَهُوَ -تَعَالَىٰ- بِنَفْسِهِ لَيْسَ بِغَيْرِهِ؛ فَهُوَ الْقَيُّومُ الَّذِي قِيَامُ كُلِّ شَيْءٍ بِهِ، وَلَا حَاجَةَ بِهِ فِي قَيُّومِيَّتِهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ.

فَإِذَا شَهِدَ الْعَبْدُ سَبْقَهُ -تَعَالَىٰ- بِالْأَوَّلِيَّةِ وَدَوَامَ وُجُودِهِ الْحَقِّ، وَغَابَ بِهَذَا عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الْمُحْدَثَاتِ؛ اسْتَغْنَىٰ الْعَبْدُ بِهَذَا الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ، وَتَغَذَّىٰ بِتِلْكَ الْمَعْرِفَةِ عَنْ فَاقَاتِهِ وَحَاجَاتِهِ، فَاضْمَحَلَّ مَا دُونَ الْحَقِّ -تَعَالَىٰ- فِي شُهُودِ الْعَبْدِ،

كَمَا هُوَ مُضْمَحِلٌّ فِي نَفْسِهِ، وَشَهِدَ الْعَبْدُ -حِينَئِذٍ- أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا سِوَىٰ اللهِ بَاطِلٌ، وَأَنَّ الْحَقَّ الْمُبِينَ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ»(١).

«فَهُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، **قَالَ بَعْضُهُمْ**: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُ اللهَ قَبْلَهُ».

وَرَأَىٰ هُنَا: هِيَ الْعِلْمِيَّةُ(٢) الْمُتَعَدِّيَةُ إِلَىٰ مَفْعُولَيْنِ؛ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

رَأَيْتُ اللهَ أَكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ مُحَاوَلَةً(٣) وَأَكْثَرَهُمْ جُنُودًا(٤)

فَيَشْهَدُ الْقَلْبُ سَبْقَهُ لِلْأَسْبَابِ، وَأَنَّهَا كَانَتْ فِي حَيِّزِ الْعَدَمِ، وَهُوَ الَّذِي كَسَاهَا حُلَّةَ الْوُجُودِ، فَهِيَ مَعْدُومَةٌ بِالذَّاتِ، فَقِيرَةٌ إِلَيْهِ بِالذَّاتِ، وَهُوَ الْمَوْجُودُ بِذَاتِهِ، وَالْغَنِيُّ بِذَاتِهِ لَا بِغَيْرِهِ، فَلَيْسَ الْغِنَىٰ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا بِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي

---

(١) «**طريق الهجرتين**»: (١/ ٨٧-٨٨)، بتصرف يسير واختصار.

(٢) أي بمعنىٰ: علمت.

(٣) قوله: «محاولة»، أي: قوة، ويقال: المحاولة: طلب الشيء بحيلة، وهذا المعنىٰ لا يقال في حق الله تعالىٰ.

انظر: «**المقاصد النحوية في شرح الشواهد**»: (٢/ ٨٢٢-٨٢٤).

(٤) البيت للشاعر الجاهلي: خداش بن زهير بن ربيعة العامري، وهو في «**ديوانه**»: (ص٤١)، من القصيدة «المنصفة»، كذا سماها ابن سلام، يقول في مطلعها [من الوافر]:

(صبا قلبي وكلفني كَنودا... وعاود داءه منها التليدا)

والقصيدة في «**منتهىٰ الطلب من أشعار العرب**»: (٨/ ٣٥٨-٣٦٤، رقم ٤٦٤)، وقد عزاه بعض شراح الشواهد لأبي زيد، وذكره بعضهم بلا نسبة.

الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ، فَالْغِنَىٰ بِغَيْرِهِ: عَيْنُ الْفَقْرِ؛ فَإِنَّهُ غِنًى بِمَعْدُومٍ فَقِيرٍ، وَفَقِيرٌ كَيْفَ يَسْتَغْنِي بِفَقِيرٍ مِثْلِهِ؟!!»[1].

«وَلَيْسَ هَذَا مُخْتَصًّا بِشُهُودِ أَوَّلِيَّتِهِ -تَعَالَىٰ- فَقَطْ، بَلْ جَمِيعُ مَا يَبْدُو لِلْقُلُوبِ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ ﷻ يَسْتَغْنِي الْعَبْدُ بِهَا بِقَدْرِ حَظِّهِ وَقَسْمِهِ مِنْ مَعْرِفَتِهَا وَقِيَامِهِ بِعُبُودِيَّتِهَا.

*** فَمَنْ شَهِدَ مَشْهَدَ عُلُوِّ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَفَوْقِيَّتِهِ لِعِبَادِهِ، وَاسْتِوَائِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ** كَمَا أَخْبَرَ بِهِ أَعْرَفُ الْخَلْقِ وَأَعْلَمُهُمْ بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، وَتَعَبَّدَ بِمُقْتَضَىٰ هَذِهِ الصِّفَةِ؛ بِحَيْثُ يَصِيرُ لِقَلْبِهِ صَمَدًا يَعْرُجُ الْقَلْبُ إِلَيْهِ مُنَاجِيًا لَهُ، مُطْرِقًا وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيْهِ وُقُوفَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ؛ فَيَشْعُرُ بِأَنَّ كَلِمَهُ وَعَمَلَهُ صَاعِدٌ إِلَيْهِ، مَعْرُوضٌ عَلَيْهِ بَيْنَ خَاصَّتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، فَيَسْتَحْيِي أَنْ يَصْعَدَ إِلَيْهِ مِنْ كَلِمِهِ مَا يُخْزِيهِ وَيَفْضَحُهُ هُنَاكَ.

وَيَشْهَدُ نُزُولَ الْأَمْرِ وَالْمَرَاسِيمِ[2] الْإِلَهِيَّةِ إِلَىٰ أَقْطَارِ الْعَوَالِمِ كُلَّ وَقْتٍ بِأَنْوَاعِ التَّدْبِيرِ وَالتَّصَرُّفِ؛ مِنَ الْإِمَاتَةِ وَالْإِحْيَاءِ، وَالتَّوْلِيَةِ وَالْعَزْلِ، وَالْخَفْضِ وَالرَّفْعِ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَكَشْفِ الْبَلَاءِ وَإِرْسَالِهِ، وَتَقَلُّبِ الدُّوَلِ وَمُدَاوَلَةِ الْأَيَّامِ بَيْنَ النَّاسِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الْمَمْلَكَةِ الَّتِي لَا يَتَصَرَّفُ فِيهَا سِوَاهُ، فَمَرَاسِيمُهُ نَافِذَةٌ

---

(١) «**مدارج السالكين**»: (٢/ ٤٢٢)، بتصرف يسير.

(٢) (المراسيم) جمع مرسوم، وهو: الأمر المكتوب من السلطان.

انظر: «**تاج العروس**»: (٣٢/ ٢٥٩)، و«**تكملة المعاجم العربية**»: (٥/ ١٤٠).

كَمَا يَشَاءُ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥].

فَمَنْ أَعْطَىٰ هَذَا الْمَشْهَدَ حَقَّهُ مَعْرِفَةً وَعُبُودِيَّةً؛ اسْتَغْنَىٰ بِهِ.

* **وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ مَشْهَدَ الْعِلْمِ الْمُحِيطِ** الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَلَا فِي قَرَارِ الْبِحَارِ، وَلَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الْجِبَالِ، بَلْ أَحَاطَ بِذَلِكَ كُلِّهِ عِلْمًا تَفْصِيلِيًّا، ثُمَّ تَعَبَّدَ الْعَبْدُ بِمُقْتَضَىٰ هَذَا الشُّهُودِ مِنْ حِرَاسَةِ خَوَاطِرِهِ وَإِرَادَاتِهِ وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَعَزَمَاتِهِ وَجَوَارِحِهِ؛ عَلِمَ بِأَنَّ حَرَكَاتِهِ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، وَخَوَاطِرَهُ وَإِرَادَاتِهِ، وَجَمِيعَ أَحْوَالِهِ ظَاهِرَةٌ مَكْشُوفَةٌ لَدَيْهِ، عَلَانِيَةٌ لَهُ، بَادِيَةٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ.

* **وَكَذَلِكَ إِذَا أَشْعَرَ الْعَبْدُ الْقَلْبَ صِفَةَ سَمْعِهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ سَمْعِهِ لِأَصْوَاتِ عِبَادِهِ عَلَىٰ اخْتِلَافِهَا، وَجَهْرِهَا وَخَفَائِهَا، وَسَوَاءٌ عِنْدَهُ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، لَا يَشْغَلُهُ جَهْرُ مَنْ جَهَرَ عَنْ سَمْعِهِ لِصَوْتِ مَنْ أَسَرَّ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، وَلَا تُغْلِطُهُ الْأَصْوَاتُ عَلَىٰ كَثْرَتِهَا وَاخْتِلَافِهَا وَاجْتِمَاعِهَا، بَلْ هِيَ عِنْدَهُ كُلُّهَا كَصَوْتٍ وَاحِدٍ، كَمَا أَنَّ خَلْقَ الْخَلْقِ جَمِيعِهِمْ وَبَعْثَهُمْ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

* **وَكَذَلِكَ إِذَا شَهِدَ الْعَبْدُ مَعْنَىٰ اسْمِهِ (الْبَصِيرِ)** ﷻ الَّذِي يَرَىٰ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَىٰ الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي حِنْدِسِ الظَّلْمَاءِ، وَيَرَىٰ تَفَاصِيلَ خَلْقِ الذَّرَّةِ الصَّغِيرَةِ وَمُخَّهَا وَعُرُوقَهَا وَلَحْمَهَا وَحَرَكَتَهَا، وَيَرَىٰ مَدَّ الْبَعُوضَةِ جَنَاحَهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَأَعْطَىٰ الْعَبْدُ هَذَا الْمَشْهَدَ حَقَّهُ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ؛ فَحَرَسَ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، وَتَيَقَّنَ أَنَّهَا بِمَرْأَىٰ مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَمُشَاهَدَةٍ، لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْهَا شَيْءٌ.

* **وَكَذَلِكَ إِذَا شَهِدَ مَشْهَدَ (الْقَيُّومِيَّةِ) الْجَامِعَ لِصِفَاتِ الْأَفْعَالِ**، وَأَنَّهُ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَأَنَّهُ -تَعَالَىٰ- هُوَ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ الْمُقِيمُ لِغَيْرِهِ، الْقَائِمُ عَلَيْهِ بِتَدْبِيرِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَقَهْرِهِ، وَإِيصَالِ جَزَاءِ الْمُحْسِنِ إِلَيْهِ وَجَزَاءِ الْمُسِيءِ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ لِكَمَالِ قَيُّومِيَّتِهِ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، وَلَا يَضِلُّ وَلَا يَنْسَىٰ.

وَهَذَا الْمَشْهَدُ مِنْ أَرْفَعِ مَشَاهِدِ الْعَارِفِينَ؛ وَهُوَ (**مَشْهَدُ الرُّبُوبِيَّةِ**).

* **وَأَعْلَىٰ مِنْهُ (مَشْهَدُ الْإِلَهِيَّةِ)** الَّذِي هُوَ مَشْهَدُ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمُ الْحُنَفَاءِ، وَهُوَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ إِلَهِيَّةَ مَا سِوَاهُ بَاطِلٌ وَمُحَالٌ، كَمَا أَنَّ رُبُوبِيَّةَ مَا سِوَاهُ كَذَلِكَ، فَلَا أَحَدَ سِوَاهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُؤَلَّهَ وَيُعْبَدَ، وَيُصَلَّىٰ لَهُ وَيُسْجَدَ، وَيَسْتَحِقُّ نِهَايَةَ الْحُبِّ مَعَ نِهَايَةِ الذُّلِّ؛ لِكَمَالِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ؛ فَهُوَ الْمُطَاعُ وَحْدَهُ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، وَالْمَأْلُوهُ وَحْدَهُ، وَلَهُ الْحُكْمُ وَحْدَهُ.

فَكُلُّ عُبُودِيَّةٍ لِغَيْرِهِ بَاطِلَةٌ وَعَنَاءٌ وَضَلَالٌ، وَكُلُّ مَحَبَّةٍ لِغَيْرِهِ عَذَابٌ لِصَاحِبِهَا، وَكُلُّ غِنًىٰ بِغَيْرِهِ فَقْرٌ وَفَاقَةٌ، وَكُلُّ عِزٍّ بِغَيْرِهِ ذُلٌّ وَصَغَارٌ، وَكُلُّ تَكَثُّرٍ بِغَيْرِهِ قِلَّةٌ وَذِلَّةٌ، فَكَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لِلْخَلْقِ رَبٌّ غَيْرُهُ؛ فَكَذَلِكَ اسْتَحَالَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُهُ؛ فَهُوَ الَّذِي انْتَهَتْ إِلَيْهِ الرَّغَبَاتُ، وَتَوَجَّهَتْ نَحْوَهُ الطَّلَبَاتُ.

وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ إِلَهٌ آخَرُ؛ فَإِنَّ الْإِلَهَ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ هُوَ الْغَنِيُّ الصَّمَدُ الْكَامِلُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، الَّذِي حَاجَةُ كُلِّ أَحَدٍ إِلَيْهِ، وَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَىٰ أَحَدٍ، وَقِيَامُ كُلِّ شَيْءٍ بِهِ، وَلَيْسَ قِيَامُهُ بِغَيْرِهِ.

وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَحْصُلَ فِي الْوُجُودِ اثْنَانِ كَذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ فِي الْوُجُودِ إِلَهَانِ؛ لَفَسَدَ نِظَامُهُ أَعْظَمَ فَسَادٍ وَاخْتَلَّ أَعْظَمَ اخْتِلَالٍ، كَمَا أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فَاعِلَانِ مُتَسَاوِيَانِ كُلٌّ مِنْهُمَا مُسْتَقِلٌّ بِالْفِعْلِ؛ فَإِنَّ اسْتِقْلَالَهُمَا يُنَافِي اسْتِقْلَالَهُمَا، وَاسْتِقْلَالَ أَحَدِهِمَا يَمْنَعُ رُبُوبِيَّةَ الْآخَرِ.

فَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ أَعْظَمُ دَلِيلٍ عَلَىٰ تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ الِاحْتِجَاجُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرَ مِمَّا وَقَعَ بِغَيْرِهِ؛ لِصِحَّةِ دَلَالَتِهِ وَظُهُورِهَا، وَقَبُولِ الْعُقُولِ وَالْفِطَرِ لَهَا، وَلِاعْتِرَافِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَكَذَلِكَ كَانَ عُبَّادُ الْأَصْنَامِ يُقِرُّونَ بِهِ وَيُنْكِرُونَ تَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ وَيَقُولُونَ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، مَعَ اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ لَهُمْ وَلِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَأَنَّهُ الْمُتَفَرِّدُ بِمُلْكِ ذَلِكَ كُلِّهِ.

فَأَرْسَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الرُّسُلَ تُذَكِّرُهُمْ بِمَا فِي فِطَرِهِمُ الْإِقْرَارُ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُمْ لَوْ رَجَعُوا إِلَىٰ فِطَرِهِمْ وَعُقُولِهِمْ لَدَلَّتْهُمْ عَلَىٰ امْتِنَاعِ إِلَهٍ آخَرَ مَعَهُ وَاسْتِحَالَتِهِ وَبُطْلَانِهِ.

فَمَشْهَدُ الْأُلُوهِيَّةِ هُوَ مَشْهَدُ الْحُنَفَاءِ، وَهُوَ مَشْهَدٌ جَامِعٌ لِلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَلِذَلِكَ كَانَ الِاسْمُ الدَّالُّ عَلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ هُوَ اسْمُ «اللهِ» ﷻ؛ فَإِنَّ هَذَا الِاسْمَ هُوَ الْجَامِعُ، وَلِهَذَا تُضَافُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ كُلُّهَا إِلَيْهِ؛ فَيُقَالُ: الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْعَزِيزُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ.. مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَلَا يُقَالُ: اللهُ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّحْمَنِ؛ قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

فَهَذَا الْمَشْهَدُ تَجْتَمِعُ فِيهِ الْمَشَاهِدُ كُلُّهَا، وَكُلُّ مَشْهَدٍ سِوَاهُ فَإِنَّمَا هُوَ مَشْهَدٌ لِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ، فَمَنِ اتَّسَعَ قَلْبُهُ لِمَشْهَدِ الْإِلَهِيَّةِ وَقَامَ بِحَقِّهِ مِنَ التَّعَبُّدِ الَّذِي هُوَ كَمَالُ الْحُبِّ بِكَمَالِ الذُّلِّ وَالتَّعْظِيمِ، وَالْقِيَامُ بِوَظَائِفِ الْعُبُودِيَّةِ؛ فَقَدْ تَمَّ لَهُ غِنَاهُ بِالْإِلَهِ الْحَقِّ، وَصَارَ مِنْ أَغْنَىٰ الْعِبَادِ، وَلِسَانُ حَالِ مِثْلِ هَذَا يَقُولُ:

غَنِيتُ بِلَا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَإِنَّ الْغِنَىٰ الْعَالِي عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ(١)

فَيَا لَهُ مِنْ غِنًى مَا أَعْظَمَ خَطَرَهُ وَأَجَلَّ قَدْرَهُ، تَضَاءَلَتْ دُونَهُ الْمَمَالِكُ فَمَا دُونَهَا؛ فَصَارَتْ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَالظِّلِّ مِنَ الْحَامِلِ لَهُ، وَالطَّيْفِ الْمُوَافِي(٢) فِي الْمَنَامِ الَّذِي يَأْتِي بِهِ حَدِيثُ النَّفْسِ وَيَطْرُدُهُ الِانْتِبَاهُ مِنَ النَّوْمِ»(٣).

فَشُهُودُ الْعَبْدِ تَوْحِيدَ الرَّبِّ وَانْفِرَادَهُ بِالْخَلْقِ، وَنُفُوذَ مَشِيئَتِهِ، وَجَرَيَانَ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ الِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَدَوَامِ الِالْتِجَاءِ إِلَيْهِ وَالِافْتِقَارِ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ يُدْنِيهِ مِنْ عَتَبَةِ الْعُبُودِيَّةِ، وَيَطْرَحُهُ بِالْبَابِ فَقِيرًا عَاجِزًا مِسْكِينًا، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا.

---

(١) البيت لفَقِيهِ المِلَّةِ وَنَاصِرِ الحَدِيْثِ: مُحَمَّدِ بنِ إِدْرِيْسَ الشَّافِعِيِّ (المتوفىٰ: ٢٠٤هـ)، وهو في «**ديوانه**»: (ص١١٤، القصيدة رقم ٤)، بلفظ: (غني) بدلا من (غنيت)، وبلفظ: (وَلَيسَ الغِنَىٰ إلا) بدلا من (وإِنَّ الغِنىٰ العالي)، من قصيدة يقول في مطلعها (من الطويل):

(بَلَوتُ بَنِي الدُنْيَا فَلَمْ أَرَ فِيْهِم... سِوَىٰ مَنْ غَدَا وَالبُخْلُ مِلْءَ إِهَابِهِ)

انظر: «**المستطرف**»: الباب الثالث والخمسون، (٢/ ٤٣).

(٢) (الطَّيْفُ): الْخَيَالُ وَالوَسَاوِسُ، و(الْمُوافِي): الْمُفاجِئُ.

انظر: «**لسان العرب**»: (٩/ ٢٢٥-٢٢٨)، مادة: (طوف)، و(١٥/ ٤٠١)، مادة: (وفى).

(٣) «**طريق الهجرتين**»: (١/ ٨٨-٩٣).

وَشُهُودُهُ أَمْرَهُ -تَعَالَىٰ- وَنَهْيَهُ، وَثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ؛ يُوجِبُ لَهُ الْجِدَّ وَالتَّشْمِيرَ وَبَذْلَ الْوُسْعِ، وَالْقِيَامَ بِالْأَمْرِ، وَالرُّجُوعَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِاللَّوْمِ، وَالِاعْتِرَافَ بِالتَّقْصِيرِ؛ فَيَكُونُ سَيْرُهُ بَيْنَ شُهُودِ الْعِزَّةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ وَالْعِلْمِ السَّابِقِ، وَبَيْنَ شُهُودِهِ التَّقْصِيرَ وَالْإِسَاءَةَ مِنْهُ، وَتَطَلُّبَ عُيُوبِ نَفْسِهِ وَأَعْمَالِهَا؛ فَهَذَا هُوَ الْعَبْدُ الْمُوَفَّقُ الْمُعَانُ، الْمَلْطُوفُ بِهِ، الْمَصْنُوعُ لَهُ، الَّذِي أُقِيمَ فِي مُقَامِ الْعُبُودِيَّةِ وَضُمِنَ لَهُ التَّوْفِيقُ.

وَهَذَا هُوَ مَشْهَدُ الرُّسُلِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ-؛ فَهُوَ مَشْهَدُ أَبِيهِمْ آدَمَ؛ إِذْ يَقُولُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

وَمَشْهَدُ أَوَّلِ الرُّسُلِ نُوحٍ؛ إِذْ يَقُولُ: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٧].

وَمَشْهَدُ إِمَامِ الْحُنَفَاءِ وَشَيْخِ الْأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-؛ إِذْ يَقُولُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٣].

وَقَالَ فِي دُعَائِهِ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥].

فَعَلِمَ ﷺ أَنَّ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ هُوَ اللهُ؛ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُجَنِّبَهُ وَبَنِيهِ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ.

وَهَذَا هُوَ مَشْهَدُ مُوسَىٰ؛ إِذْ يَقُولُ فِي خِطَابِهِ لِرَبِّهِ: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥].

أَيْ: إِنَّ ذَلِكَ مَا هُوَ إِلَّا امْتِحَانُكَ، مَا هُوَ إِلَّا اخْتِبَارُكَ، كَمَا يُقَالُ: فَتَنْتُ الذَّهَبَ: إِذَا امْتَحَنْتُهُ وَاخْتَبَرْتُهُ، وَلَيْسَ مِنَ الْفِتْنَةِ الَّتِي هِيَ الْفِعْلُ السَّيِّءُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [البروج: ١٠]، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

فَإِنَّ تِلْكَ فِتْنَةُ الْمَخْلُوقِ؛ وَمُوسَىٰ أَعْلَمُ بِاللهِ أَنْ يُضِيفَ إِلَيْهِ -تَعَالَىٰ- هَذِهِ الْفِتْنَةَ، وَإِنَّمَا هِيَ كَالْفِتْنَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]؛ أَيِ: ابْتَلَيْنَاكَ وَاخْتَبَرْنَاكَ وَصَرَّفْنَاكَ فِي الْأَحْوَالِ الَّتِي قَصَّهَا اللهُ -سُبْحَانَهُ- عَلَيْنَا مِنْ لَدُنْ وِلَادَتِهِ إِلَىٰ وَقْتِ خِطَابِهِ لَهُ وَإِنْزَالِ كِتَابِهِ عَلَيْهِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مُوسَىٰ ﷺ شَهِدَ تَوْحِيدَ الرَّبِّ، وَانْفِرَادَهُ بِالْخَلْقِ وَالْحُكْمِ، وَفِعْلَ السُّفَهَاءِ وَمُبَاشَرَتَهُمُ الشِّرْكَ؛ فَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ بِعِزَّتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَأَضَافَ الذَّنْبَ إِلَىٰ فَاعِلِهِ وَجَانِيهِ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٦].

وَهَذَا الْمَشْهَدُ هُوَ مَشْهَدُ ذِي النُّونِ؛ إِذْ يَقُولُ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧].

فَوَحَّدَ رَبَّهُ -تَعَالَىٰ- وَنَزَّهَهُ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ، وَأَضَافَ الظُّلْمَ إِلَىٰ نَفْسِهِ.

وَهَذَا مَشْهَدُ صَاحِبِ سَيِّدِ الِاسْتِغْفَارِ؛ إِذْ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

فَأَقَرَّ ﷺ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ الْمُتَضَمِّنِ لِانْفِرَادِهِ -سُبْحَانَهُ- بِالْخَلْقِ وَعُمُومِ الْمَشِيئَةِ وَنُفُوذِهَا، وَأَقَرَّ بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُتَضَمِّنِ لِمَحَبَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالِاعْتِرَافِ بِالْعُبُودِيَّةِ الْمُتَضَمِّنِ لِلِافْتِقَارِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ إِلَيْهِ -سُبْحَانَهُ-.

ثُمَّ قَالَ: «وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ»؛ فَتَضَمَّنَ ذَلِكَ الْتِزَامَ شَرْعِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَهُوَ الْعَهْدُ الَّذِي عَهِدَهُ إِلَىٰ عِبَادِهِ، وَتَصْدِيقُ وَعْدِهِ، وَهُوَ جَزَاؤُهُ وَثَوَابُهُ، فَتَضَمَّنَ الْتِزَامَ الْأَمْرِ وَالتَّصْدِيقَ بِالْمَوْعُودِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ وَالِاحْتِسَابُ، ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْعَبْدَ لَا يُوَفِّي هَذَا الْمَقَامَ حَقَّهُ الَّذِي يَصْلُحُ لَهُ -تَعَالَىٰ-؛ عَلَّقَ ذَلِكَ بِاسْتِطَاعَتِهِ وَقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يَتَعَدَّاهَا؛ فَقَالَ: «**مَا اسْتَطَعْتُ**»؛ أَيْ: أَلْتَزِمُ ذَلِكَ بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِي وَقُدْرَتِي.

ثُمَّ شَهِدَ الْمَشْهَدَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ؛ وَهُمَا مَشْهَدُ الْقُدْرَةِ وَالْعِزَّةِ، وَمَشْهَدُ التَّقْصِيرِ مِنْ نَفْسِهِ؛ فَقَالَ ﷺ: «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ**»؛ فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ تَضَمَّنَتِ الْمَشْهَدَيْنِ مَعًا.

---

(١) أخرجه البخاري: (١١/ ٩٧-٩٨ و١٣٠، رقم ٦٣٠٦ و٦٣٢٣)، من حديث: شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه.

ثُمَّ أَضَافَ النِّعَمَ كُلَّهَا إِلَىٰ وَلِيِّهَا وَأَهْلِهَا وَالْمُبْتَدِئِ بِهَا، وَالذَّنْبَ إِلَىٰ نَفْسِهِ وَعَمَلِهِ؛ فَقَالَ: «**أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي**»؛ فَأَنْتَ الْمَحْمُودُ وَالْمَشْكُورُ الَّذِي لَهُ الثَّنَاءُ كُلُّهُ وَالْإِحْسَانُ كُلُّهُ، وَمِنْهُ النِّعَمُ كُلُّهَا؛ فَلَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الثَّنَاءُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْفَضْلُ كُلُّهُ، وَأَنَا الْمُذْنِبُ الْمُسِيءُ، الْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ، الْمُقِرُّ بِخَطَئِهِ؛ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ[1]: «الْعَارِفُ يَسِيرُ بَيْنَ مُشَاهَدَةِ الْمِنَّةِ مِنَ اللهِ، وَمُطَالَعَةِ عَيْبِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ».

فَشُهُودُ الْمِنَّةِ يُوجِبُ لَهُ الْمَحَبَّةَ لِرَبِّهِ -سُبْحَانَهُ-، وَحَمْدَهُ، وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِ، وَمُطَالَعَةُ عَيْبِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ تُوجِبُ اسْتِغْفَارَهُ، وَدَوَامَ تَوْبَتِهِ، وَتَضَرُّعَهُ، وَاسْتِكَانَتَهُ لِرَبِّهِ -سُبْحَانَهُ-.

ثُمَّ لَمَّا قَامَ هَذَا بِقَلْبِ الدَّاعِي وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الْوَسَائِلِ، قَالَ: «**فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**»[2]. (*).

«**وَهَاهُنَا سِرٌّ بَدِيعٌ؛ وَهُوَ: أَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ -تَعَالَىٰ- أَدْخَلَتْهُ تِلْكَ الصِّفَةُ عَلَيْهِ وَأَوْصَلَتْهُ إِلَيْهِ** جَلَّ وَعَلَا.

وَالرَّبُّ -تَعَالَىٰ- يُحِبُّ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَيُحِبُّ مُقْتَضَىٰ صِفَاتِهِ وَظُهُورَ

---

(١) هو أبو إسماعيل الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ)، في «**منازل السائرين**»، كما في «**مدارج السالكين**»: (١/ ٢٣٦).

(٢) «**طريق الهجرتين**»: (١/ ٣٥٥-٣٥٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ أَصْلُ الْعِلْمِ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ| ١٦-٥-٢٠١٤م.

آثَارِهَا فِي الْعَبْدِ؛ فَإِنَّهُ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْكَرَمِ، عَلِيمٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْعِلْمِ، وِتْرٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْوِتْرِ، قَوِيٌّ، وَالْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، صَبُورٌ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ، شَكُورٌ يُحِبُّ الشَّاكِرِينَ»(١).

«وَهُوَ ﷻ رَحِيمٌ يُحِبُّ الرُّحَمَاءَ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ، وَهُوَ سِتِّيرٌ يُحِبُّ مَنْ يَسْتُرُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَعَفُوٌّ يُحِبُّ مَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ، وَغَفُورٌ يُحِبُّ مَنْ يَغْفِرُ لَهُمْ، وَلَطِيفٌ يُحِبُّ اللَّطِيفَ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُبْغِضُ الْفَظَّ الْغَلِيظَ الْقَاسِيَ الْجَعْظَرِيَّ(٢) الْجَوَّاظَ(٣)، وَرَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَحَلِيمٌ يُحِبُّ الْحِلْمَ، وَبَرٌّ يُحِبُّ الْبِرَّ وَأَهْلَهُ، وَعَدْلٌ يُحِبُّ الْعَدْلَ، وَقَابِلُ الْمَعَاذِيرِ يُحِبُّ مَنْ يَقْبَلُ مَعَاذِيرَ عِبَادِهِ، وَيُجَازِي عَبْدَهُ بِحَسَبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِيهِ وُجُودًا وَعَدَمًا.

فَمَنْ عَفَا؛ عَفَا عَنْهُ، وَمَنْ غَفَرَ؛ غَفَرَ لَهُ، وَمَنْ سَامَحَ؛ سَامَحَهُ، وَمَنْ حَاقَقَ؛ حَاقَقَهُ، وَمَنْ رَفَقَ بِعِبَادِهِ؛ رَفَقَ بِهِ، وَمَنْ رَحِمَ خَلْقَهُ رَحِمَهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَمَنْ جَادَ عَلَيْهِمْ جَادَ عَلَيْهِ، وَمَنْ نَفَعَهُمْ نَفَعَهُ، وَمَنْ سَتَرَهُمْ سَتَرَهُ، وَمَنْ صَفَحَ عَنْهُمْ صَفَحَ عَنْهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَتَهُمْ تَتَبَّعَ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ هَتَكَهُمْ هَتَكَهُ وَفَضَحَهُ، وَمَنْ مَنَعَهُمْ خَيْرَهُ مَنَعَهُ خَيْرَهُ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ، وَمَنْ

---

(١) «**عدة الصابرين**»: (ص٨٥)، باختصار يسير.

(٢) الجَعْظَرِيُّ: الفَظُّ الغلِيظ المُتكَبّر، الَّذِي يَنْتَفِخ بِمَا لَيْس عِنْدَهُ وَفِيهِ قِصَر.

انظر: «**لسان العرب**»: (٤/ ١٤٢)، مادة: (جعظر).

(٣) الجَوَّاظ: الجَمُوع المَنُوع الفاجر.

انظر: «**لسان العرب**»: (٧/ ٤٣٩)، مادة: (جوظ).

مَكَرَ مَكَرَ بِهِ، وَمَنْ خَادَعَ خَادَعَهُ، وَمَنْ عَامَلَ خَلْقَهُ بِصِفَةٍ عَامَلَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِتِلْكَ الصِّفَةِ بِعَيْنِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَاللهُ -تَعَالَىٰ- لِعَبْدِهِ عَلَىٰ حَسَبِ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ لِخَلْقِهِ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**مَنْ سَتَرَ مُسلمًا سَتَرَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- حِسَابَهُ**»(١).

«**مَنْ أَقَالَ نَادِمًا أَقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَثْرَتَهُ**»(٢).

«**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي ظِلِّ عَرْشِهِ**»(٣)؛ لِأَنَّهُ لَمَّا جَعَلَهُ فِي ظِلِّ الْإِنْظَارِ وَالصَّبْرِ، وَنَجَّاهُ مِنْ حَرِّ الْمُطَالَبَةِ وَحَرَارَةِ تَكَلُّفِ الْأَدَاءِ مَعَ عُسْرَتِهِ وَعَجْزِهِ؛ نَجَّاهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ ظِلِّ عَرْشِهِ.

وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي فِي التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ(٤) -وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ- عَنِ

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٠٧٤، رقم ٢٦٩٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «...، **وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**،...».

(٢) أخرجه أبو داود: (٣/ ٢٧٤، رقم ٣٤٦٠)، وابن ماجه: (٢/ ٧٤١، رقم ٢١٩٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

والحديث صححه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٥/ ١٨٢، رقم ١٣٣٢).

(٣) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٣٠١-٢٣٠٢، رقم ٣٠٠٦)، من حديث: أَبِي الْيَسَرِ رضي الله عنه.

(٤) «**جامع الترمذي**»: (٤/ ٣٧٨، رقم ٢٠٣٢)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

والحديث حسنه الألباني في «**غاية المرام**»: (ص٢٤٠، رقم ٤٢٠).

النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمًا: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ إِلَىٰ قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَبَّعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ**».

اللَّهُمَّ إِنَّكَ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ؛ فَاسْتُرْنَا بِسِتْرِكَ الْجَمِيلِ، وَاجْعَلْ تَحْتَ السِّتْرِ مَا يُرْضِيكَ.

فَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكُنْ كَيْفَ شِئْتَ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَكَ كَمَا تَكُونُ أَنْتَ لَهُ وَلِعِبَادِهِ، وَلَمَّا أَظْهَرَ الْمُنَافِقُونَ الْإِسْلَامَ وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ؛ أَظْهَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُورًا عَلَىٰ الصِّرَاطِ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ أَنَّهُمْ يَجُوزُونَ الصِّرَاطَ، وَأَسَرَّ لَهُمْ أَنْ يُطْفِئَ نُورَهُمْ وَأَنْ يُحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الصِّرَاطِ مِنْ جِنْسِ أَعْمَالِهِمْ.

وَكَذَلِكَ مَنْ يُظْهِرُ لِلْخَلْقِ خِلَافَ مَا يَعْلَمُهُ اللهُ مِنْهُ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- يُظْهِرُ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَسْبَابَ الْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَوْزِ وَيُبْطِنُ لَهُ خِلَافَهَا، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «**مَنْ رَاءَىٰ رَاءَىٰ اللهُ بِهِ، وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ**»(١)»(٢). (*).

«وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَقَدْ تَجَلَّىٰ فِيهِ لِعِبَادِهِ بِصِفَاتِهِ؛ فَتَارَةً يَتَجَلَّىٰ فِي صِفَاتِ

---

(١) أخرجه البخاري: (١١/ ٣٣٥-٣٣٦، رقم ٦٤٩٩)، ومسلم: (٤/ ٢٢٨٩-٢٢٩٠، رقم ٢٩٨٧)، من حديث: جندب رضي الله عنه.

(٢) «**الوابل الصيب**»: (ص١٤٠-١٤٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ أَصْلُ الْعِلْمِ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ| ١٦-٥-٢٠١٤م.

الْهَيْبَةِ وَالْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ، فَتَخْضَعُ الْأَعْنَاقُ، وَتَنْكَسِرُ النُّفُوسُ، وَتَخْشَعُ الْأَصْوَاتُ، وَيَذُوبُ الْكِبْرُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَتَارَةً يَتَجَلَّىٰ فِي صِفَاتِ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ، وَهُوَ كَمَالُ الْأَسْمَاءِ، وَجَمَالُ الصِّفَاتِ، وَجَمَالُ الْأَفْعَالِ الدَّالُّ عَلَىٰ كَمَالِ الذَّاتِ؛ فَيَسْتَنْفِذُ حُبُّهُ مِنْ قَلْبِ الْعَبْدِ قُوَّةَ الْحُبِّ كُلَّهَا بِحَسَبِ مَا عَرَفَهُ مِنْ صِفَاتِ جَمَالِهِ وَنُعُوتِ كَمَالِهِ، فَيُصْبِحُ فُؤَادُ عَبْدِهِ فَارِغًا إِلَّا مِنْ مَحَبَّتِهِ، فَإِذَا أَرَادَ مِنْهُ الْغَيْرُ أَنْ يُعَلِّقَ تِلْكَ الْمَحَبَّةَ بِهِ أَبَىٰ قَلْبُهُ وَأَحْشَاؤُهُ ذَلِكَ كُلَّ الْإِبَاءِ، كَمَا قِيلَ:

يُـرَادُ مِـنَ الْقَلْـبِ نِسْـيَانُكُم وَتَـأْبَىٰ الطِّبَـاعُ عَلَـىٰ النَّاقِـلِ

فَتَبْقَىٰ الْمَحَبَّةُ لَهُ طَبْعًا، لَا تَكَلُّفًا.

وَإِذَا تَجَلَّىٰ بِصِفَاتِ الرَّحْمَةِ، وَالْبِرِّ، وَاللُّطْفِ، وَالْإِحْسَانِ؛ انْبَعَثَتْ قُوَّةُ الرَّجَاءِ مِنَ الْعَبْدِ، وَانْبَسَطَ أَمَلُهُ، وَقَوِيَ طَمَعُهُ، وَسَارَ إِلَىٰ رَبِّهِ وَحَادِي الرَّجَاءِ يَحْدُو رِكَابَ سَيْرِهِ، وَكُلَّمَا قَوِيَ الرَّجَاءُ جَدَّ فِي الْعَمَلِ، كَمَا أَنَّ الْبَاذِرَ كُلَّمَا قَوِيَ طَمَعُهُ فِي الْمَغَلِّ[1] غَلَّقَ أَرْضَهُ بِالْبَذْرِ، وَإِذَا ضَعُفَ رَجَاؤُهُ قَصَّرَ فِي الْبَذْرِ.

وَإِذَا تَجَلَّىٰ -تَعَالَىٰ- بِصِفَاتِ الْعَدْلِ، وَالِانْتِقَامِ، وَالْغَضَبِ، وَالسَّخَطِ، وَالْعُقُوبَةِ؛ انْقَمَعَتِ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ، وَبَطَلَتْ أَوْ ضَعُفَتْ قُوَاهَا مِنَ الشَّهْوَةِ، وَالْغَضَبِ، وَاللَّهْوِ، وَاللَّعِبِ، وَالْحِرْصِ عَلَىٰ الْمُحَرَّمَاتِ، وَانْقَبَضَتْ أَعِنَّةُ[2] رُعُونَاتِهَا[3]؛ فَأَحْضَرَتِ الْمَطِيَّةُ حَظَّهَا مِنَ الْخَوْفِ، وَالْخَشْيَةِ، وَالْحَذَرِ.

---

(١) المغلّ: بمعنىٰ ناتج الأرض.

(٢) أعِنة: جمع (عِنان)، وهو سير اللجام الذي يُمسك.

(٣) الرُّعُونة: الحمق والاسترخاء.

وَإِذَا تَجَلَّىٰ -تَعَالَىٰ- بِصِفَاتِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْعَهْدِ وَالْوَصِيَّةِ، وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ، وَشَرْعِ الشَّرَائِعِ؛ انْبَعَثَتْ مِنْهَا قُوَّةُ الِامْتِثَالِ وَالتَّنْفِيذِ لِأَوَامِرِهِ، وَالتَّبْلِيغِ لَهَا، وَالتَّوَاصِي بِهَا، وَذِكْرِهَا وَتَذَكُّرِهَا، وَالتَّصْدِيقِ بِالْخَبَرِ، وَالِامْتِثَالِ لِلطَّلَبِ، وَالِاجْتِنَابِ لِلنَّهْيِ.

وَإِذَا تَجَلَّىٰ جَلَّوَعَلَا بِصِفَاتِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ؛ انْبَعَثَتْ مِنَ الْعَبْدِ قُوَّةُ الْحَيَاءِ، فَيَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَرَاهُ عَلَىٰ مَا يَكْرَهُ، أَوْ يَسْمَعَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ، أَوْ يُخْفِيَ فِي سَرِيرَتِهِ مَا يَمْقُتُهُ عَلَيْهِ، فَتَبْقَىٰ حَرَكَاتُهُ وَأَقْوَالُهُ وَخَوَاطِرُهُ مَوْزُونَةً بِمِيزَانِ الشَّرْعِ، غَيْرَ مُهْمَلَةٍ وَلَا مُرْسَلَةٍ تَحْتَ حُكْمِ الطَّبِيعَةِ وَالْهَوَىٰ.

وَإِذَا تَجَلَّىٰ جَلَّوَعَلَا بِصِفَاتِ الْكِفَايَةِ وَالْحَسْبِ، وَالْقِيَامِ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، وَسَوْقِ أَرْزَاقِهِمْ إِلَيْهِمْ، وَدَفْعِ الْمَصَائِبِ عَنْهُمْ، وَنَصْرِهِ لِأَوْلِيَائِهِ، وَحِمَايَتِهِ لَهُمْ، وَمَعِيَّتِهِ الْخَاصَّةِ لَهُمْ؛ انْبَعَثَتْ مِنَ الْعَبْدِ قُوَّةُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالتَّفْوِيضِ إِلَيْهِ، وَالرِّضَا بِهِ وَبِكُلِّ مَا يُجْرِيهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَيُقِيمُهُ فِيهِ مِمَّا يَرْضَىٰ بِهِ هُوَ -سُبْحَانَهُ-.

وَالتَّوَكُّلُ مَعْنًىٰ يَلْتَئِمُ مِنْ عِلْمِ الْعَبْدِ بِكِفَايَةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا وَحُسْنِ اخْتِيَارِهِ لِعَبْدِهِ، وَثِقَتِهِ بِهِ، وَرِضَاهُ بِمَا يَفْعَلُهُ بِهِ وَيَخْتَارُهُ لَهُ.

وَإِذَا تَجَلَّىٰ جَلَّوَعَلَا بِصِفَاتِ الْعِزِّ وَالْكِبْرِيَاءِ؛ أَعْطَتْ نَفْسُهُ الْمُطْمَئِنَّةُ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنَ الذُّلِّ لِعَظَمَتِهِ، وَالِانْكِسَارِ لِعِزَّتِهِ، وَالْخُضُوعِ لِكِبْرِيَائِهِ، وَخُشُوعِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ لَهُ؛ فَتَعْلُوهُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي قَلْبِهِ، وَلِسَانِهِ، وَجَوَارِحِهِ، وَسَمْتِهِ، وَيَذْهَبُ طَيْشُهُ وَقُوَّتُهُ وَحِدَّتُهُ.

وَجُمَّاعُ ذَلِكَ: أَنَّهُ -تَعَالَىٰ- يَتَعَرَّفُ إِلَىٰ الْعَبْدِ بِصِفَاتِ إِلَهِيَّتِهِ تَارَةً، وَبِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ تَارَةً؛ فَيُوجِبُ لَهُ شُهُودُ صِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَحَبَّةَ الْخَاصَّةَ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِهِ، وَالْأُنْسَ وَالْفَرَحَ بِهِ، وَالْمُنَافَسَةَ فِي قُرْبِهِ، وَالتَّوَدُّدَ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ، وَاللَّهَجَ بِذِكْرِهِ، وَالْفِرَارَ مِنَ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَيَصِيرُ وَحْدَهُ هَمَّهُ دُونَ مَا سِوَاهُ.

وَيُوجِبُ لَهُ شُهُودُ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، وَالِافْتِقَارَ إِلَيْهِ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ، وَالذُّلَّ وَالْخُضُوعَ وَالِانْكِسَارَ لَهُ.

وَكَمَالُ ذَلِكَ أَنْ يَشْهَدَ الْعَبْدُ رُبُوبِيَّتَهُ -تَعَالَىٰ- فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَأَنْ يَشْهَدَ نِعْمَتَهُ فِي بَلَائِهِ، وَعَطَاءَهُ فِي مَنْعِهِ، وَبِرَّهُ وَلُطْفَهُ وَإِحْسَانَهُ وَرَحْمَتَهُ فِي قَيُّومِيَّتِهِ، وَعَدْلَهُ فِي انْتِقَامِهِ، وَجُودَهُ وَكَرَمَهُ فِي مَغْفِرَتِهِ وَسِتْرِهِ وَتَجَاوُزِهِ.

وَيَشْهَدُ الْعَبْدُ حِكْمَتَهُ وَنِعْمَتَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَيَشْهَدُ عِزَّهُ فِي رِضَاهُ وَغَضَبِهِ، وَحِلْمَهُ فِي إِمْهَالِهِ، وَكَرَمَهُ فِي إِقْبَالِهِ، وَغِنَاهُ فِي إِعْرَاضِهِ»(١).

«إِنَّ اللهَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- إِذَا أَرَادَ أَنْ يُكَرِّمَ عَبْدَهُ بِمَعْرِفَتِهِ، وَجَمْعِ قَلْبِهِ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ؛ شَرَحَ صَدْرَهُ لِقَبُولِ صِفَاتِهِ الْعُلَىٰ، وَتَلَقِّيهَا مِنْ مِشْكَاةِ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا قَابَلَهُ بِالْقَبُولِ، وَتَلَقَّاهُ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ، وَأَذْعَنَ لَهُ بِالِانْقِيَادِ، فَاسْتَنَارَ بِهِ قَلْبُهُ، وَاتَّسَعَ لَهُ صَدْرُهُ، وَامْتَلَأَ بِهِ سُرُورًا وَمَحَبَّةً، فَعُلِمَ أَنَّهُ تَعْرِيفٌ مِنْ تَعْرِيفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، تَعَرَّفَ بِهِ إِلَيْهِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، فَأَنْزَلَ تِلْكَ الصِّفَةَ مِنْ قَلْبِهِ مَنْزِلَةَ الْغِذَاءِ أَعْظَمَ مَا كَانَ إِلَيْهِ فَاقَةً،

---

(١) «**الفوائد**» (ص: ٩٨-١٠٠).

وَمَنْزِلَةَ الشِّفَاءِ أَشَدَّ مَا كَانَ إِلَيْهِ حَاجَةً، فَاشْتَدَّ بِهَا فَرَحُهُ، وَعَظُمَ بِهَا غِنَاهُ، وَقَوِيَتْ بِهَا مَعْرِفَتُهُ، وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهَا نَفْسُهُ، وَسَكَنَ إِلَيْهَا قَلْبُهُ، فَجَالَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ فِي مَيَادِينِهَا، وَأَسَامَ[1] عَيْنَ بَصِيرَتِهِ فِي رِيَاضِهَا وَبَسَاتِينِهَا؛ لِتَيَقُّنِهِ بِأَنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ تَابِعٌ لِشَرَفِ مَعْلُومِهِ، وَلَا مَعْلُومَ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِمَّنْ هَذِهِ صِفَتُهُ.

وَهُوَ ذُو الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتِ الْعُلَىٰ، وَأَنَّ شَرَفَهُ -أَيْضًا- بِحَسَبِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَلَيْسَتْ حَاجَةُ الْأَرْوَاحِ قَطُّ إِلَىٰ شَيْءٍ أَعْظَمَ مِنْهَا إِلَىٰ مَعْرِفَةِ بَارِيهَا وَفَاطِرِهَا، وَمَحَبَّتِهِ وَذِكْرِهِ، وَالِابْتِهَاجِ بِهِ، وَطَلَبِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ، وَالزُّلْفَىٰ عِنْدَهُ.

وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ هَذَا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَوْصَافِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ بِهَا أَعْلَمَ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفَ، وَلَهُ أَطْلَبَ، وَإِلَيْهِ أَقْرَبَ.

وَكُلَّمَا كَانَ لَهَا أَنْكَرَ كَانَ بِاللهِ أَجْهَلَ، وَإِلَيْهِ أَكْرَهَ، وَمِنْهُ أَبْعَدَ، وَاللهُ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ حَيْثُ يُنْزِلُهُ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ»[2].

«**وَالْفَرَحُ وَالسُّرُورُ، وَطِيبُ الْعَيْشِ، وَالنَّعِيمُ إِنَّمَا هُوَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ وَتَوْحِيدِهِ،** وَالْأُنْسِ بِهِ، وَالشَّوْقِ إِلَىٰ لِقَائِهِ، وَاجْتِمَاعِ الْقَلْبِ وَالْهِمَّةِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ أَنْكَدَ الْعَيْشِ عَيْشُ مَنْ قَلْبُهُ مُشَتَّتٌ وَهَمُّهُ مُفَرَّقٌ عَنْ ذَلِكَ.

---

(١) أسام: من سامت الماشية تسوم سومًا: رعت حيث شاءت، وأسامها إذا أخرجها إلىٰ الرعي وخلّاها ترعىٰ. «**اللسان**» (١٢/ ٣١١)، والمراد: أن هذا الناظر أرعىٰ عين بصيرته في هذه الرياض والبساتين حتىٰ استفاد منها واقتبس معرفة وعلمًا.

(٢) «**الكافية الشافية - نونية ابن القيم**» (ص: ٨-٩).

فَالْعَيْشُ الطَّيِّبُ وَالْحَيَاةُ النَّافِعَةُ وَقُرَّةُ الْعَيْنِ فِي السُّكُونِ وَالطُّمَأْنِينَةِ إِلَىٰ الْحَبِيبِ الْأَوَّلِ، وَلَوْ تَنَقَّلَ الْقَلْبُ فِي الْمَحْبُوبَاتِ كُلِّهَا لَمْ يَسْكُنْ وَلَمْ يَطْمَئِنَّ، وَلَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ حَتَّىٰ يَطْمَئِنَّ إِلَىٰ إِلَهِهِ وَرَبِّهِ وَوَلِيِّهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ، وَلَا غِنَىٰ لَهُ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ»(١).

فَلَا أَحَدَ سِوَاهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُؤْلَهَ وَيُعْبَدَ، وَيُصَلَّىٰ لَهُ وَيُسْجَدَ، وَلَا أَحَدَ سِوَاهُ يَسْتَحِقُّ نِهَايَةَ الْحُبِّ مَعَ نِهَايَةِ الذُّلِّ؛ لِكَمَالِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَهُوَ الْمُطَاعُ وَحْدَهُ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، وَالْمَأْلُوهُ وَحْدَهُ، وَلَهُ الْحُكْمُ وَحْدَهُ؛ فَكُلُّ عُبُودِيَّةٍ لِغَيْرِهِ بَاطِلَةٌ وَعَنَاءٌ وَضَلَالٌ، وَكُلُّ مَحَبَّةٍ لِغَيْرِهِ عَذَابٌ لِصَاحِبِهَا، وَكُلُّ غِنًىٰ بِغَيْرِهِ فَقْرٌ وَفَاقَةٌ، وَكُلُّ عِزٍّ بِغَيْرِهِ ذُلٌّ وَصَغَارٌ، وَكُلُّ تَكَثُّرٍ بِغَيْرِهِ ذِلَّةٌ وَقِلَّةٌ.

فَمَنْ وَجَّهَ شَيْئًا مِنَ الْعِبَادَةِ إِلَىٰ أَحَدِ الْمَخْلُوقِينَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ وَجَّهَ عِبَادَتَهُ فِي غَيْرِ مَنْ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ؛ لِهَذَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

فَالنَّهْجُ الْأَسْمَىٰ فِي مَعْرِفَةِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَفَهْمِ مَدْلُولِهَا، وَتَحْقِيقِ مَقَاصِدِهَا هُوَ: أَنْ يَعْرِفَ الْعَبْدُ رَبَّهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَبِحَسَبِ عِلْمِهِ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ تَكُونُ أُلُوهِيَّتُهُ وَعُبُودِيَّتُهُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ.

فَمَشْهَدُ الْأُلُوهِيَّةِ هُوَ مَشْهَدُ الْحُنَفَاءِ، وَهُوَ مَشْهَدٌ جَامِعٌ لِلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَحَظُّ الْعِبَادِ مِنْهُ بِحَسَبِ حَظِّهِمْ مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْعِبَادُ

(١) «رسالة ابن القيم إلىٰ أحد إخوانه» (ص/ ٣٢-٣٣).

إِدْرَاكَ حَقِيقَةِ الْعُبُودِيَّةِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَحْقِيقَهَا قَوْلًا وَعَمَلًا إِذَا لَمْ يَعْرِفُوا صِفَاتِ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ سِرَّ الْعُبُودِيَّةِ وَغَايَتَهَا وَحِكْمَتَهَا إِنَّمَا يَطَّلِعُ عَلَىٰ ذَلِكَ مَنْ عَرَفَ صِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، وَلَمْ يُعَطِّلْهَا، وَعَرَفَ مَعْنَىٰ الْإِلَهِيَّةِ وَحَقِيقَتَهَا، وَمَعْنَىٰ كَوْنِهِ إِلَهًا، وَهَلِ التَّوْحِيدُ إِلَّا أَثَرٌ وَنَتَاجٌ لِمَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلَىٰ، وَإِلَّا أَثَرٌ لِإِيمَانِ الْعَبْدِ بِهَا، وَتَدَبُّرِ الْقَلْبِ لِمَعَانِيهَا، وَالْتِفَاتِهِ إِلَىٰ مَا تَقْتَضِيهَا هَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ مِنَ الْآثَارِ وَالثَّمَرَاتِ، وَذَلِكَ -وَاللهِ- لَهُوَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ الَّذِي قَالَ فِيهِ الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ رَحِمَهُ اللهُ: «بَابٌ: مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

فَالْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ كُلَّمَا عَظُمَ عِلْمُهُ، وَعَظُمَ يَقِينُهُ بِأَسْمَاءِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَبِصِفَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ أُلُوهِيَّتِهِ التَّامَّةِ، كُلَّمَا عَظُمَ عِلْمُهُ، وَعَظُمَ يَقِينُهُ بِذَلِكَ؛ تَحَقَّقَ عِلْمُهُ بِأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ حَقٌّ سِوَىٰ اللهِ، وَكَانَ مِنْ حَقِّهِ إِذَا مَاتَ أَنْ يُدْخِلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ، كَمَا وَعَدَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١).

وَلِذَلِكَ تَجِدُ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- وَإِفْرَادِ اللهِ بِالْعِبَادَةِ تَلَازُمًا وَثِيقًا، وَارْتِبَاطًا شَدِيدًا؛ فَكُلَّمَا حَقَّقَ الْعَبْدُ أَسْمَاءَ اللهِ وَصِفَاتِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا كَانَ أَعْظَمَ وَأَكْمَلَ تَوْحِيدًا.(*).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «الدَّعْوَةُ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» (كَلِمَةٌ لِإِخْوَانِنَا فِي لِيبِيَا) - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٩هـ| ٣٠-٣-٢٠١٨م.

«**وَجِمَاعُ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ**: إِنَّمَا هُوَ بِتَكْمِيلِ عُبُودِيَّةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ؛ فَتَكُونُ حَرَكَاتُ نَفْسِهِ وَحَرَكَاتُ جِسْمِهِ كُلُّهَا فِي مَحْبُوبَاتِ اللهِ؛ فَكَمَالُ عُبُودِيَّةِ الْعَبْدِ مُوَافَقَتُهُ لِرَبِّهِ فِي مَحَبَّةِ مَا أَحَبَّ، وَفِي بَذْلِ الْجُهْدِ فِي فِعْلِهِ، وَفِي مُوَافَقَتِهِ فِي كَرَاهَةِ مَا كَرِهَهُ مَعَ بَذْلِ الْجُهْدِ فِي تَرْكِهِ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ، لَا لِلْأَمَّارَةِ وَلَا لِلَّوَّامَةِ؛ فَهَذَا كَمَالٌ مِنْ جِهَةِ الْإِرَادَةِ وَالْعَمَلِ.

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ؛ فَأَنْ تَكُونَ بَصِيرَتُهُ مُنْفَتِحَةً فِي مَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، لَهُ شُهُودٌ خَاصٌّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مُطَابِقٌ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، لَا مُخَالِفٌ لَهُ؛ فَإِنَّهُ بِحَسَبِ مُخَالَفَتِهِ لَهُ فِي ذَلِكَ يَقَعُ الِانْحِرَافُ، وَيَكُونُ مَعَ ذَلِكَ قَائِمًا بِأَحْكَامِ الْعُبُودِيَّةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا كُلُّ صِفَةٍ بِخُصُوصِهَا، وَهَذَا سُلُوكُ الْأَكْيَاسِ الَّذِينَ هُمْ خُلَاصَةُ الْعَالَمِ، وَالسَّالِكُونَ عَلَىٰ هَذَا الدَّرْبِ أَفْرَادٌ مِنَ الْعَالَمِ.

طَرِيقٌ سَهْلٌ قَرِيبٌ مُوصِلٌ، طَرِيقٌ آمِنٌ، أَكْثَرُ السَّالِكِينَ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُ، لَكِنْ يَسْتَدْعِي رُسُوخًا فِي الْعِلْمِ وَمَعْرِفَةً تَامَّةً بِهِ، وَإِقْدَامًا عَلَىٰ رَدِّ الْبَاطِلِ الْمُخَالِفِ لَهُ -وَلَوْ قَالَهُ مَنْ قَالَهُ-، وَلَيْسَ عِنْدَ أَكْثَرِ النَّاسِ سِوَىٰ رُسُومٍ تَلَقَّوْهَا عَنْ قَوْمٍ مُعَظَّمِينَ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ لِإِحْسَانِ ظَنِّهِمْ بِهِمْ قَدْ وَقَفُوا عِنْدَ أَقْوَالِهِمْ وَلَمْ يَتَجَاوَزُوهَا إِلَىٰ غَيْرِهَا، فَصَارَتْ حِجَابًا لَهُمْ وَأَيُّ حِجَابٍ.

فَمَنْ فَتَحَ اللهُ بَصِيرَةَ قَلْبِهِ وَإِيمَانِهِ حَتَّىٰ خَرَقَهَا وَجَاوَزَهَا إِلَىٰ مُقْتَضَىٰ الْوَحْيِ وَالْفِطْرَةِ وَالْعَقْلِ؛ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَلَا يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْ ضَعْفِ هِمَّتِهِ، فَإِذَا انْضَافَ إِلَىٰ ذَلِكَ الْفَتْحِ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ؛ فَذَاكَ السَّابِقُ حَقًّا، وَاحِدُ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ، لَا

يُلْحَقُ شَأْوُهُ وَلَا يُشَقُّ غُبَارُهُ، فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ مَنْ يَتَلَقَّىٰ أَحْوَالَهُ وَوَارِدَاتِهِ عَنِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَبَيْنَ مَنْ يَتَلَقَّاهَا عَنِ الْأَوْضَاعِ الِاصْطِلَاحِيَّةِ وَالرُّسُومِ، أَوْ عَنْ مُجَرَّدِ ذَوْقِهِ وَوَجْدِهِ، إِذَا اسْتَحْسَنَ شَيْئًا قَالَ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ.

فَالسَّيْرُ إِلَىٰ اللهِ مِنْ طَرِيقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ شَأْنُهُ عَجَبٌ، وَفَتْحُهُ عَجَبٌ، صَاحِبُهُ قَدْ سَبَقَ السُّعَاةَ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَىٰ فِرَاشِهِ غَيْرُ تَعِبٍ وَلَا مَكْدُودٍ، وَلَا مُشَتَّتٍ عَنْ وَطَنِهِ، وَلَا مُشَرَّدٍ عَنْ سَكَنِهِ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨].

وَلَيْسَ الْعَجَبُ مِنْ سَائِرٍ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ وَهُوَ فِي السُّرَىٰ[1] لَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَكَانِهِ، وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِنْ سَاكِنٍ لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَقَدْ قَطَعَ الْمَرَاحِلَ وَالْمَفَاوِزَ!!

فَسَائِرٌ قَدْ رَكِبَتْهُ نَفْسُهُ؛ فَهُوَ حَامِلُهَا، سَائِرٌ بِهَا مَلْبُوكٌ[2]، يُعَاقِبُهَا وَتُعَاقِبُهُ، وَيَجُرُّهَا وَتَهْرُبُ مِنْهُ، وَيَخْطُو بِهَا خُطْوَةً إِلَىٰ أَمَامِهِ؛ فَتَجْذِبُهُ خُطْوَتَيْنِ إِلَىٰ وَرَائِهِ، فَهُوَ مَعَهَا فِي جَهْدٍ، وَهِيَ مَعَهُ كَذَلِكَ.

وَسَائِرٌ قَدْ رَكِبَ نَفْسَهُ، وَمَلَكَ عِنَانَهَا؛ فَهُوَ يَسُوقُهَا كَيْفَ شَاءَ وَأَيْنَ شَاءَ، لَا تَلْتَوِي عَلَيْهِ، وَلَا تَنْجَذِبُ وَلَا تَهْرُبُ مِنْهُ، بَلْ هِيَ مَعَهُ كَالْأَسِيرِ الضَّعِيفِ فِي يَدِ

---

(١) (السُّرىٰ): السير ليلا، وكلُّ شيءٍ طرق ليلًا فهو سارٍ، والمعنىٰ: وهو في سيره ليلا.
انظر: «**لسان العرب**»: (٤/ ٣٨٩)، مادة: (سير).

(٢) (ملبوك): مختلط ومتلبس بها، قال ابن فارس: «اللَّامُ وَالْبَاءُ وَالْكَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ خَلْطِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ».
انظر: «**مقاييس اللغة**»: (٥/ ٢٣١)، و«**لسان العرب**»: (١٠/ ٤٨٢)، مادة: (لبك).

مَالِكِهِ وَآسِرِهِ، وَكَالدَّابَّةِ الرَّيِّضَةِ[١] الْمُنْقَادَةِ فِي يَدِ سَائِسِهَا وَرَاكِبِهَا؛ فَهِيَ مُنْقَادَةٌ مَعَهُ حَيْثُ قَادَهَا، فَإِذَا رَامَ التَّقَدُّمَ جَمَزَتْ بِهِ[٢] وَأَسْرَعَتْ، فَإِذَا أَرْسَلَهَا سَارَتْ بِهِ وَجَرَتْ فِي الْحَلْبَةِ إِلَىٰ الْغَايَةِ، وَلَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ، فَتَسِيرُ بِهِ وَهُوَ سَاكِنٌ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، لَيْسَ كَالَّذِي نَزَلَ عَنْهَا وَهُوَ يَجُرُّهَا بِلِجَامِهَا، وَيَشْحَطُهَا وَلَا تَنْشَحِطُ[٣].

فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْمُسَافِرَيْنِ!!

فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَثَلَ؛ فَإِنَّهُ مُطَابِقٌ لِحَالِ السَّائِرِينَ، وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ»[٤].[*].

---

(١) (الريضة)؛ أي: المروضة المذللة السهلة، مِنْ رِيَاضَةِ الدَّابَّةِ.

انظر: «**لسان العرب**»: (٧/ ١٦٤)، مادة: (روض).

(٢) (الجَمْزُ): ضَرْبٌ مِنَ العدو دون السَرِيع.

انظر: «**لسان العرب**»: (٥/ ٣٢٣)، مادة: (جمز).

(٣) (يَشْحَطُها ولا تَنْشَحِط)؛ أي: يسحبها ولا تنسحب.

انظر: «**تكملة المعاجم العربية**»: (٦/ ٢٦٨).

(٤) «**طريق الهجرتين**»: (١/ ٤٦٨-٤٧١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ أَصْلُ الْعِلْمِ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٥هـ|١٦-٥-٢٠١٤م.

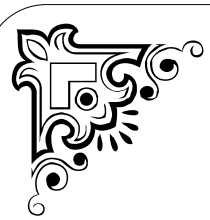

مَعْرِفَةُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ
أَوَّلُ الطَّرِيقِ وَسَبِيلُ النَّجَاةِ

لَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شَأْنَ هَذَا الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْأُصُولِ؛ يَعْنِي الْعِلْمَ بِهِ بِأَسْمَائِهِ -تَعَالَىٰ- وَصِفَاتِهِ.

فَبَيَّنَ جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، وَخَلَقَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ عَدَدًا لَا كَيْفًا وَقَدْرًا، وَجَعَلَ الْأَمْرَ مُتَنَزِّلًا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَرْعًا وَكَوْنًا.. جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِغَايَةٍ بَيَّنَهَا جَلَّ وَعَلَا كَمَا قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَلِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يُغْفِلُ عَبْدٌ يَسِيرُ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَيُرِيدُ أَنْ يَتَرَقَّىٰ فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ إِلَيْهِ جَلَّ وَعَلَا.. كَيْفَ يَسْتَقِيمُ لِعَبْدٍ شَأْنُهُ وَهُوَ جَاهِلٌ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا، لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي عَرَّفَنَا اللهُ -تَعَالَىٰ- إِيَّاهَا فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ.

إِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفُوا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا الْقُرْآنَ، فَلَمَّا تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ازْدَادُوا إِيمَانًا(١)؛ فَلَا بُدَّ أَنْ نَعْلَمَ الْحَاكِمَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ قَبْلَ أَنْ نَعْلَمَ الْحُكْمَ وَالْأَحْكَامَ، وَأَمَّا إِذَا عَكَسْنَا الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّ الْقَلْبَ لَا يَزْدَادُ إِلَّا قَسْوَةً، وَلَا يَزْدَادُ مَا فِي النَّفْسِ إِلَّا غِلْظَةً، وَلَا تَزْدَادُ الْأَلْسِنَةُ إِلَّا جَفَاءً -كَمَا هُوَ وَاقِعٌ-؛ لِأَنَّ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْ بَابِ الْعِلْمِ يُخْطِئُونَ السَّبِيلَ، فَيَسِيرُونَ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ.

وَإِنَّمَا الشَّأْنُ كُلُّ الشَّأْنِ أَنْ يَعْرِفُوا رَبَّهُمْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ كَمَا عَرَّفَنَاهَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، فَإِذَا مَا جَاءَ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِهِ أَذْعَنَتِ الْقُلُوبُ، وَامْتَثَلَتِ الْأَرْوَاحُ، وَقَالَ الْعَبْدُ الْمُنِيبُ الْعَارِفُ بِرَبِّهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَإِذَا جَاءَ الْخَبَرُ مِنْ خَبَرِهِ -تَعَالَىٰ- قَالَ الْعَبْدُ الْمُنِيبُ إِلَىٰ رَبِّهِ الْعَارِفُ بِهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ: سَمِعْنَا وَصَدَّقْنَا.

وَأَمَّا دُونَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ فَإِنَّ الْقُلُوبَ تَزْدَادُ قَسْوَةً، وَإِنَّ الْأَلْسِنَةَ تَزْدَادُ غِلْظَةً وَجَفَاءً -وَهَذَا وَاقِعٌ-، وَيَنْبَغِي عَلَىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَدَارَكُوهُ، وَأَنْ يَبُثُّوا فِي الْأُمَّةِ هَذَا الْعِلْمَ الْعَظِيمَ، وَهُوَ أَصْلُ الْعُلُومِ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْمُثْلَىٰ.

---

(١) عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا». رواه ابن ماجه (٦١)، وصححه الألباني في «**صحيح سنن ابن ماجه**» (١/ ٣٧ - ٣٨).

«حَزَاوِرَةٌ»: جمع الحَزْوَر، ويقال له: الحزور بتشديد الواو؛ هو الغلام إذا اشتد وقوي وحَزُم. كذا في «**الصحاح**»، وفي «**النهاية**»: هو الذي قارب البلوغ.

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمَسْؤُولُ أَنْ يُوَفِّقَنَا إِلَىٰ ذَلِكَ، وَأَنْ يُعِينَنَا عَلَيْهِ، وَأَنْ يُحَقِّقَنَا بِهِ، وَأَنْ يُحَقِّقَهُ فِينَا، إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَيْرُ مَسْؤُولٍ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ، إِنَّهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «الدَّعْوَةُ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» (كَلِمَةٌ لِإِخْوَانِنَا فِي لِيبْيَا) - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٩هـ| ٣٠-٣-٢٠١٨م.

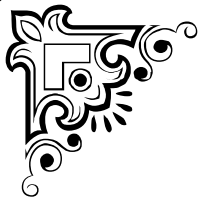

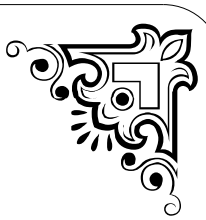

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ..... ٩

قَوَاعِدُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْمُثْلَىٰ..... ٢٠

* قَوَاعِدُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- الْحُسْنَىٰ:..... ٢٠

* قَوَاعِدُ فِي صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ-:..... ٢٦

الْإِلْحَادُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ.. الْمَعْنَىٰ وَالْأَقْسَامُ وَالْخُطُورَةُ..... ٣٧

مَعْرِفَةُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ أَصْلُ الْعُلُومِ وَأَعْلَاهَا..... ٤٥

مَعْنَىٰ التَّعَبُّدِ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ..... ٥٣

ثَمَرَاتُ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ وَآثَارُهَا فِي حَيَاتِنَا..... ٥٥

مَعْرِفَةُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ أَوَّلُ الطَّرِيقِ وَسَبِيلُ النَّجَاةِ..... ٨٣

الْفِهْرِسُ..... ٨٧